العدد ٨٣٣ — الاثنين ٢٠ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة

والمروءة

فهرس العدد

صفحة

أم سائرة — المرأة في هذا العصر أيضاً ... ... } لصاحب العزة الدكتور عزام بك ٩٩١

قطرات ندى ... ... : الأستاذ رابي الراعي ٩٩٣

قبعة تتزوج ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ... ٩٩٥

المركة الدامية بالأسكندرية في عصر الحروب الصليبية ... ... } الأستاذ أحمد أحمد بدوي ٩٩٧

مالتوس ومشاكل السكان في العالم : الأستاذ فؤاد طرزي ١٠٠٠

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة : الأستاذ ابراهيم البطراوي ... ١٠٠٤

الخلود ... ... } لشاعر الحب والجمال لامرتين ترجمة الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح } ١٠٠٦

زهرة ... ... (قصيدة) : الأستاذ ابراهيم محمد نجا ١٠٠٨

أبي ... ... » : الشيخ محمد رجب البيومي ... ١٠٠٨

« تعقيبات » : سلامة موسى أو قصة الكاتب وما كتب — بين خم الديمقراطية وبحيم الشيوعية — بعض الرسائل من حقيبة البريد — « مقاتل الطالبين » لأبي الفرج الأصفهاني ١٠٠٩

« الأدب والفن في أسبوع » : آثار الكتب في وزارة المعارف ١٠١٢

— كشكول الأسبوع — اليوم خمر — نجيب الريحاني ١٠١٤

« البريد الأدبي » : حول شاعد — حام وسهم — لفظة في بيت — ١٠١٥

ثلاثة شاعدوا فصدقوا — « الجائزة » أو لماذا أومن بالله ١٠١٦

« رسالة النشر » : نظرات في كتاب الأشربة : الأستاذ السيد أحمد صقر ١٠١٩

٣٢٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 838

Lundi — 20 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٨ — أمم حـــائرة

المرأة في هذا العصر أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قال الفريق الأول : أتبغون المرأة حبيسة فى دارها ، منقطعة عن دنياها ، محجوبة عن الطرق والأسواق ، ممنوعة من الأندية والمجامع ، محرومة من المسارح والملاهى ؟ أتبغونها قعيدة بيت لا تعرف إلا ما حوته الجدُر من دارها ودور جيرتها وأهلها ؟ أكذلك تبغونها أيها الظالمون ؟

فيقول الفريق الآخر : كلا كلا . لقد بينا قبلا مكانة المرأة من نفوسنا ، وأعربنا عن إعظامنا بل تقديسنا إياها ، ودعونا إلى أن تبلغ من العلم والخُلق الدرجات العُلى ، وهى أعز علينا وأكرم من أن تُحبس أو تُحجب أو تُمنع أو تُحرم .

إنا نريدها أميرة دارها ، وملكة أسرتها ، قوّامة على أولادها ، فى الدار عملها ، وفيها جهادها ، وفيها عبادتها ، وفى الأسرة يتجلى علمها وأدبها . ثم لا حرج عليها بعد هذا أن تخرج إلى الأسواق ، وتسير فى الطرق ، وتنشئ المجامع ؛ ولكن مسير السيدة الكريمة ربة الأسرة التى تخرج من دارها لشئونها ثم تسرع الأوبة إليها .

نريد أن تكون خارج دارها ملء الناظر إعجاباً وإكباراً ، وكرامة ومهابة ، يُخيِّل للعيون عنها تصونها وكبرياؤها ، ويرد السفهاء استقامتها فى طريقها ، وعفتُها فى سيرها .

كذلك نود أن تكون المرأة حيثما توجهت ، وأينما سارت ، ونود أن تحيطها البيئة بأدب يزيدها كرامة وعزة ، وتلقاها بأخلاق تيسر لها السيرة الكريمة ، والخطة الرفيعة ، والمنزلة العالية . لا كما تعرفون فى شوارعكم وأسواقكم ومجامعكم وملاهيكم ، فنحن لا نخالفكم على الحرية ، ولكن على الأخلاق والآداب والكرامة والصيانة .

وليس الذى ندعو إليه محالا ولا عسيراً . نحن لا نزال فى أول الطريق ونخشى العاقبة التى ينتهى إليها هذا السير ، والنهاية التى تؤدى إليها هذه البداية . وكم رأينا فى بلاد شرقية وغربية المرأة الوسيمة المتجملة جادّة فى طريقها ، مستقيمة إلى وجهتها ، توحى إلى كل من يراها الإجلال والإكرام والأدب والحياء . وكثيراً رأينا بعض هؤلاء عامدات إلى مسجد أو كنيسة معهن أولادهن ، كأنما من فى معبد على الطريق إلى المعبد . فكذلك نريد النساء .

وعلى ذكر المساجد والكنائس نقول : هؤلاء الداعون والداعيات إلى ارتياد كل موطن ، وغشيان كل مجمع ، والزاحمة فى كل مضيق — لماذا لا يدعون إلى حق النساء فى المساجد ؟ لماذا لا يطالبون بأن ينشئن المساجد مشاركات الرجال أو منفردات ، ليصلين ويستمعن إلى المواعظ ، بل ليعلّم بعضهن بعضاً من علوم

الدين والدنيا ؟ لماذا لا يُطالب بأن يكون للنساء مدرسة دينية لتخريج عالمات في الفقه والحديث والتفسير وآداب الدين ؟ لماذا تتوجه الدعوة وجهة واحدة ؟ ولماذا تُذكر الحقوق في جانب وتُنسى في جانب ؟ أليس الأمر محاكاة وتقليداً أو إشارة للدعاوى المدوّية .

هذا فصل المقال بيننا وبينكم أيها المجادلون : تريدون خروج المرأة عن طبعها ، وهجرانها دارها ، وابتذالها في الأسواق والمجامع ؛ وتريد لها الحياة على طبيعتها ، والاعتصام بدارها ، والصيانة والكرامة في كل سبيل ، وكل مكان ، وعلى كل حال .

قال الفريق الأول : إن دعواكم ينقض بعضها بعضاً ، ويكذب آخرها أولها . تقولون لا نضيق على المرأة ولا نحجبها ولا نمنعها فشيان المجامع ، وتقولون إنّ عملها في دارها ، لا تُخرجها منها إلا الضرورات ، وتحرمون عليها العمل في المصانع وتولي المناصب ، بل كل عمل خارج البيت ، وهذا التهاتر في أقوالكم هو صورة الاضطراب في أفكاركم ، وتزلزل الأدلة وراء دعاويكم .

ويقول الفريق الثاني : لو فقهتم ما قدمنا ، وبلغتم غور ما أسلفنا ، لم ترمونا بالتناقض في القول والاضطراب في الفكر .

إن الكلمة الجامعة في رأينا أن المرأة للدار ، والدار للمرأة ، فكل عمل ينأى بها عن الدار ، ويحرم الدار تدبيرها محرم عليها إلا ما اضطرتها إليه الضرورات ، والضرورة شر ينبغي دفعه ، وفساد في الجماعة يجب إصلاحه . وللمرأة أن تتولى كل عمل يلائمها ولا يقطعها عن أسرتها ، ولا يخل بشئون بيتها ، ولا يحرم أولادها تربيتها ورعايتها ، ولا يسلب زوجها إيناسها وإسعادها ، والأعمال التي على هذا الشرط كثيرة .

للنساء مجال فسيح في أعمال البر والرحمة من تربية الأيتام ، والقيام لهم مقام الآباء والأمهات بالشفقة والحنو ، والعمل لتعليمهم وتهذيبهم ، ومواساة الأسر الفقيرة وإنقاذها من العوز والمرض ، وإمدادها سراً بما يحفظ كرامتها ويصون حرمتها ، وإنشاء الملاجئ وما يتصل بها لصيانة الصبايا المشردات اللاتي لا يجدن من يأخذ بأيديهن في هذا المجتمع المائج ومن يسمع شكواهن في هذا العيش الصاخب .

كل أولئك وأمور أخرى مثلها المرأة بها أولى ، وبدخائلها أدرى ، وهي أحسن قياماً عليها بالرأفة والشفقة واللين والرفق والحلم والصبر .

فلسنا ندفع المرأة عن هذه الأعمال وما أكثرها ، وما أعظم العمل فيها ، برّاً بالأمة وإحساناً إلى الجماعة . ويستطيع النساء أن يعملن هنا ما يعجز عنه الرجال عملا دائباً في غير دعوى ولا جلبة ، ولا جدال ولا خصومة . ولكن كثيراً من نسائنا مولعات بالقال والقيل ، مغرمات بالبطولة والزعامة ، يؤثرن الأمور الصغيرة التي يثورفيها الخلاف ، ويشتد النزاع ، وتذكر الأسماء ، ويلتمس العيب ، فراراً من الأمور الجدية الشاقة التي يقوم بها الدأب والصبر والصمت وجهاد الأفكار والأيدي لا الألسن والأقلام .

ورحم الله الغزالي ! كان يسمي المسائل التي يشتد فيها الجدل ويتبادى عليها النزاع « بالطبوليات » ، ويرى أن كثيراً من فقهائنا يؤثرون هذه الطبوليات الجوفاء على العلم النافع والعمل الصالح والجهاد الخالص لوجه الله .

فما أشد ولوع بعض نسائنا ورجالنا بالطبوليات ، يُملأ بها الجو ضوضاء ، وتُشغل الأمة عما هو أجدى وأعظم وأولى بسعيها وجدها وإعدادها فيما تتصدى له من الخطوب ، وما يحيط بها من الحادثات ، وما تضطلع به من أمور الإصلاح الكبار ، وشئون التدبير الجسام .

(الكلام صلة) عبد الوهاب عزام

اطلب كتاب

مبادئ في القضاء الشرعي

للأستاذ الزين القاضي

كتاب يفيد القاضي والمحامي والمفتي

اطلبه من دار الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا أجرة البريد

قطـــرات ندى

الأســـتاذ راجي الراعي

* ليس من السهل على من زخر نفسه بالصور والأحاسيس ان يعرف ماذا يريد .

* كن الشين أو الزاي في مستشزرات ، ولا تكن الواو في عمرو . أقول كن كيف شئت ولا تكن كية مهملة .

* قلب الجبان سيف يطوه الصدأ .

* الثابرة تتحدّى القدَر .

* الليل ثوب أسود يرتديه النور .

* كلما بكى الإنسان هدم حجراً من كبريائه .

* تتآخى الليالي وتتعادى ثم تندغم في ليل واحد كثيف تطلع بعده الشمس على ترابك !

* كلما مشيت على التراب هبت عليّ ريح قديمة .

* تكبّر ما شئت ولكن لا تنس أنك الحيوان الكبير .

* ما تزال الحكمة تائهة شاردة تفتش عن مكان لها في هذه الأرض تبني فيه بناءها !

* لو كنت جبلاً لهربت بقمتي الشامخة إلى السهل تكاية بالمتكبرين .

* العشاق والشعراء هم الذين طيلوا وزمروا للقمر فأحلوه المحل الرفيع .

* عجبت للأثير كيف لم يتكاثف حتى اليوم وفيه ما فيه من زفرات البشر .

* الحكمة كلها في رأس الميت فاذهب إليه واسأله أن يتلو عليك فصولها .

* إن (أبا الهول) في صمته المستديم ثائر على كل ثرثار .

* الجلاد والحطاب والحفار : هذا مثلث الموت !

* إذا أفلت من الأحياء لحق بي موتاي فإلى أين المفر ؟

* ماء الشجرة دمها تسكبه في النار .

* الأرض الثائرة أسطوانة تنشد مجد الشمس .

* الندم عاطفة شائكة .

* الشيب ما سحقه فيك الدهر فدونه الحقيقة في خيالك .

* تقضي العين حياتها بين جفنيها لا تدري أيهما تختار .

* البقرية كتاب أبرز ما فيه صفحة القلق .

* ليت للأفلاك أبجديتها فأعرف أين تبدأ وأين تنتهي .

* كنت أحسب الفجر مخاضاً فلما رأيت له وجهين الكاذب والصادق شككت فيه . . أفي الفجر كذب أيضاً ؟ أكذبه عدوى أتته من الدنيا ؟

* إذا حلت عليك النعمة حُلّ قيدك .

* إذا كانت الجبال شعراً تجسد معه الخيال وانقلب تماثيل فجبل (لبنان) بيت القصيد في الملحمة الجبلية .

* العمود عريان وقح .

* الصحراء جثة بحر مات .

* القمر أختامه والبقرى هو الذي يفضها .

* يقيمون للأسد عرشاً ولكنهم ينسون أن أمانة الكلب تعدل شجاعة الأسد .

* اشتمّ في الليل رائحة عراك وقد فازت الظلمة بالشمس .

* أغصان الشجرة هي أتجاهات روحها المصفدة بالتراب التواقة إلى الانعتاق .

* العين ملتقى الخطوط الصاعدة والمنحدرة والمنحرفة .

* كل موهبة حجر كريم في تاج الله .

* كم من خيال كثيف كالجدار وعقل يسيل كالماء وذاكرة لا أذن لها وقلب ضاق شرياه وقل ماؤه !

* الفناء شرط البقاء ، إن فناءك في الله هو الذي يبقيك ..

* الهرم فخر الموت .

* أرقام الرجل الخيالي نجومه في جدول الأفق .

* رأيت الحياة الصفراء والمنون السوداء والجنة الخضراء والجحيم الحمراء في علم واحد يخفق في الفضاء ، علم الموتى والأحياء

* بين دورة الزمن ودورة الأرض ودورة الفكر ودورة الدم دورة خامسة هي دورة الثائرة على يوم الخلد !

* ما أكثر وجوه الموت وألوانه ! المجنون عقل مات ... والقلب الذي لا يعرف الحب جثة في الصدر .. والبله شعلة الذكاء انطفأت .. والأعمى ميت يتأمل .. والأصم رجل توارى عن عن الدنيا .. والأبكم رجل مات فيه الكلمة .. والجاهل ميت سقط في ساحة العلم .. والحائر المتردد قتيل يسيل الدم من إرادته الجريحة .. وابن الطمع والجشع قتيل ترثيه الفلسفة والحكمة .. والعاقر قتيلة في ساحة الأمومة .. والشيخوخة موت الشباب .. والانتحار موت قبل الموت . والسليل الذي لا يرى لدائه يبقى لنفسه في كل يوم لحداً .. والشاعر الحالم الطموح الذي تخذله الحياة وتهدم له عروش أحلامه هو الميت الأكبر الذي لا يملؤه ميت !

* الحياة برق خلب في أفق مبهم .

* الذهب يملأ السموات وما فيها ويبرق في العظمة والجمال ولكن الناس لا يرونه ولا يعرفونه إلا في مناجمه .

* لا همّ لي في الحياة إلا أن أوفق بين قصرها وطول أحلامي

* أسرح الطرف في هذه الطبيعة فلا أرى غير أمهات وأرحام : الأرض تلد الشجرة والشجرة تلد أوراقها ، والجبل يلد الينبوع والينبوع يلد الجدول .

* الخط المستقيم هو الذي جاء بكلمة الاستقامة في معجم الأخلاق .

* لو كنت بركاناً لابتلعت همي ولم أطلقها عبثاً في الفضاء الذي لم يسيء إلى فتبقى في أحشائي ليصطلي بها موتاي .

* من حبل بالروائع ولم يستطع أن يلدها تألبت عليه أجنته السجينة وأخمدت أنفاسه .

* كلما أطلّ علي الفجر جمت شتيت نفسي التي بعثرها الأمس .

* الهوس يشق بحبرانه النفس فيخرج لك ما فيها من قبح وزؤان .

* أحب الذهب إذا كان معدنه الجبين .

* أتموت جوعاً ؟ وسنابل القمح هذه التي تملأ الرحب ، لمن هي ؟؟؟

* لولا المدة القاهرة لما فكرت لحظة في المال .

* يقول لي سقراط : اعرف نفسك ولكنه لم يعطني كتابها لأقرأ هذا الذي يدعوني إلى معرفته ، ويقول غيره : ادخل إلى محراب نفسك ولكنه لم يهدني إلى الباب .

* لا تعجب لهذا الظالم الطاغي فإن لنفسه ساحة احتلها الشياطين فلم يبق فيها مكان للملاك !

* إن للموت هيكلا عظامه عظام القبور !

* أعجب ما في الخليقة هذه الأرض التي تنمو سنابل قمحها بين جاجم موتاها وتشع مناجم ذهبها بين فحيح أفاعيها وتتدلع ألسنة نيرانها من قلبها الذي تتبجس منه الينابيع ...

راجي الراعي

الأسلوب القوى

والاستيعاب الموجز

والتحليل المفصل ، والاختيار الموفق

والمقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

كل ذلك تجده

في تاريخ الأدب العربي

لمؤلفه أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكاتب الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً

صور من الحياة :

قبعة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

أما قصة زواجك أنت — يا صاحب القبعة — فهي عجب من العجب ، قصة فيها سلوى للنفس وعظة للعقل ومتعة للقلب .

اذكر يوم أن جئت ، أيها الفيلسوف ، من البلد الأجنبي — بعد أن نيّفت على الأربعين — وإن رأسك ليزدحم بالخواطر والخرافات ، وإن قلبك ليجيش بالآمال والأماني ، وإن فلسفتك لتتحدث إليك بأمر .

ونظرت حواليك فتراءيت في عين نفسك عزباً تضطرب في الحياة وحيداً منبوذاً ، والأيام تنطوي في سرعة لتدفعك نحو الشيخوخة في غير هوادة ولا لين ، وأنت تفتقد العطف والحنان فلا تستشعر الهدوء في الدار ولا الاستقرار في العمل ، وإن وظيفتك لتدر عليك مايفيض على حاجات نفسك ورغبات قلبك ، وضقت بحياة القلق والاضطراب فعقدت النية على أن تتزوج .

وسيطرت عليك الفكرة فشغلت قلبك وعقلك ، واستولت على مشاعرك فأرّقت جفنيك وأزعجتك عن مرقدك ، وبدا عليك الوجوم والصمت لأنك انطويت على نفسك زماناً فتفقدت الأهل والصاحب والصديق فأغلق أمامك السبيل إلى الزوجة . ثم وجدت متنفساً حين جاءت إلى زميل لك تحدثه حديثك وتقول : « إنني أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء ، فالمرء رجل مقطوع الصلات بحذوذ اللاتق ، يجد الهم والأسى في داره ، ويحس الضيق والملل في خلوته ، ويلمس الضنى والعذاب في وحدته ، تتراءى له — دائماً — أخيلة مفزعة تزعجه عن الدار ، وتصرفه عن العمل ، وتملأ ذهنه بالخرافات ، وتحطم أعصابه بالقلق ، لا تهدأ له خاطره ولا يقر له قرار ، وأنى له الهدوء وهو يرى نفسه ألقّ في ناحية من حجرة ، عملا بين عمل من الأدوات والأثاث والملابس . فإن أبق الخادم طار صوابه ، وتناثرت خواطره ، وتشعثت حاجاته ، رغم أنه يثق بأن الخادم رجل يسرق ماله ويستلبه من وقته ويزعجه عن راحته ، وهو هم لايدفع إلا بهم آخر . وإن مرض انحط في فراشه ليكون بقايا إنسان قذر تافه تنطوي الساعات وإن نفسه لتئن أنيناً رهيباً ، وإن قلبه ليبكي بكاء مراً . لهذا — ياصاحبي — فأنا أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء » ...

وأطرق زميلك ساعة من زمان ثم قال : « لا بأس عليك ، ستجد في بيت فلان بك بغيتك وتحس راحة نفسك ، فهو رجل ذو مكانة وشأن وذو ثراء عريض ... وابنته فتاة في مقتبل العمر ونضارة الشباب ، تتألق بهاء وجمالا وتشع رونقاً وصفاء ، فيها جاذبية الأنثى وخفر العذراء ، لم يلوثها بهرج الدنيا ، ولا دنسها زيف الحياة ، وهي قد تخرجت في الجامعة منذ قريب ... وأبوها — سعادة البك — فيه الحصافة والرأي ، وبينه وبيني صلات قربى ووشائج نسب ... وأنت — في رأيي — خير من يتقدم ليخطب ابنته ، فهو لايطمع في مال ، ولايسعى إلى جاه ، ولكنه يريد رجلا فيه الرزانة والعقل ، لأنه يخشى شباب الجيل ، وإن فيهم ميوعة ولينا ، وإن فيهم استهتاراً وضعفاً » ...

وتفتح قلبك — لأول مرة في الحياة — لحديث زميلك حين أحسست فيه النصيحة والإخلاص فقلت : « لا ضير ، ولكن عسى أن يكون رائدي وأنا لا أستطيع أن أجد السبيل إليه وحدي ؟ »

فقال لك الزميل : « إن شئت رافقتك إليه » ..

وفي أمسية يوم من أيام الصيف انطلقت — يا صاحب القبعة — بصحبة زميلك إلى دار سعادة البك ، وجلستما إليه ساعة من زمان ، ثم خرج زميلك وحده ... خرج ليخلّفك إلى جوار البك ، وقد أنس كل منكما بصاحبه واطمأن إلى حديثه ، فسميت الفتاة عليك بعد أيام ، ثم خطبت إليك ...

وهدأت ثائرة نفسك ، واستقرت أفكارك إلى شاطئ أمين ... ولكن ترى فيم كنت تفكر ؟ آه ... إن فلسفتك العفنة قد لصقت بك فلم تتركك ساعة واحدة في حياتك ... لقد خيل إليك أن سعادة البك رجل يستطيع أن يشبع نهم طمعك وأن ينتع قلة أنانيتك ، وأن ابنته فتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر ، وتفتح أمامك الباب الموصد ، ثم تدفعك إلى

الهدف في سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغ ، فتركت مسكنك القذر الوضيع ورحت تعد داراً أنيقة لاستقبال العروس المنتظرة ، ونبذت ملابسك القذرة الشمئة لتأنق في الجديد الغالي ليروق مظهرك في ناظري أهل الزوجة ، وتصنعت الرزانة والعقل لتخدعهم بثقافتك الفجة ، وتجملت بالرقة والذوق لتصرفهم عن خواطرك السقيمة ، وخرجت من عزلتك القاتلة لتكون رجلا لبس القبعة حيناً أو بعض حين .

وانطلى على سعادة البك ما تكلفت من قول ومن فعل فحياك بالثقة ، وخصك بالتقدير ، وقربك إلى قلبه ونفسه — وأما أنت فالفتاة إليك ففتحت لك باب حجرتها لتجلس إليها في خلوة ، وتحدثها في غير رقبة .

واندفعت تزين للفتاة أن تصحبك إلى السينما وإلى المسرح وإلى الندى ، فما تمنعت ولا تأبت ، وهي لا ترى بأساً في ما تفعل لأنك زوجها — وتماديت في غيك فأردت أن تحملها على أن تنزع عن نفسها تقاليد الأسرة ، وأن تمتهن تاريخها — وهو قد تدفق في عروقها منذ زمان — لترود سمك اللاهي الوضيعة ، وإن كثيراً منها لينضم على فنون من الخلاعة والفجور ، ويحوي ألواناً من الخداع والإغراء ، فهي تثير في الرجل الدوافع الحيوانية ، وتبذر في المرأة غراس الثورة على الدار والزوج والأولاد ، وألقت الفتاة إليك السلم — يا ذي الرأي — ثم استيقظت التقاليد في عقلها فرفضت أن ترتدع في هذه الهاوية ، فرميتها أنت بالجمود والرجعية ، واحتقرتها لأنها تمسكت بالشرف وتشبثت بالكرامة .

لقد كنت تريدها على أن تندفع في الغواية لحاجة في نفسك .

وأرادت فلسفتك الشيطانية أن تمكر بالفتاة فتخدعها عن نفسها فتتعلم الرقص وتصاحب رفاقك وتتحدث إلى محادثك ، تأخذ منهم وتعطي ، ولكنها كانت قد جبلت على الحياء وطبعت على الخجل فرأت الطريق أمامها وعراً وبدت لها الغاية صعبة ، فتراجعت ..

وجلست إليها — ذات مرة — تخدعها عن نفسها وتغريها أن تصحبك لتزورا معاً دار فلان باشا ، وزعمت بأنه من ذوي قرابتك ، فانطلقتما معاً إلى داره مرات ومرات . واستقبلها الباشا — يا ذي يد — في احترام وشملها بالعطف وانهالت عليها منه الهدايا ، ثم راح يداعبها في رقة ويمازحها في ظرف ، وهي تطمئن إلى لطفه وتسكن إلى حديثه ، غير أنه ما لبث أن سقط عن وجهه قناع التصنع فانكشف عن ذئب مفترس في مسلاخ إنسان ، وامتدت يد الباشا إلى الفتاة فذعرت ، وأوجست خيفة منه ثم أقبلت عليك تنقض أمامك ذات نفسها فأغضيت عن حديثها وامتهنت هواجس نفسها على حين أنك توقن بأن هذا الباشا شيخ داعر شرير لا يتورع عن نقيصة ولا يترفع عن دنيئة . وعزّ على الفتاة أن تلمس فيك هذا الخلق الواهي المنحل فلاذت بعقلها واعتصمت بكريم منبتها ، ورفضت أن ترافقك — بعدها — إلى دار الباشا ، وأصررت أنت وأصرت هي ، ثم فزعت عنك إلى أبيها وفي قلبها أسى يتضرم وفي عينيها عبرات تترقرق .

وعجب البك أن يرى ابنته تنطوي عن زوجها وتهرب من لقياه ، وعلى وجهها أثر الحزن وفي عينيها أثر البكاء ، فجلس إليها يريد أن يهدىء من ثورتها وأن يمسح على أتراحها بقلبه الرفيق ، فأجهشت للبكاء وهي تقص قصة زوجها الفيلسوف الذي لبس القبعة حيناً من الزمان وهو يدفعها إلى الهاوية مرة بعد مرة ثم يسوقها إلى دار الباشا الداعر لتنزل هناك عن كرامتها وتتخلى عن شرفها .

وثار البك لما سمع ثورة قذفت بالفيلسوف المبقري ، صاحب القبعة ، إلى خارج الدار بعد أن سامه الاحتقار والمهانة ، قذفت به إلى خارج الدار لأنه حين لبس القبعة نبذ المعاني السامية للدين والوطن و ...

وأصابتني الدهشة حين رأيتك — يا صاحب القبعة — تنصرف عن دار البك فلا تزورها وتنفر من زوجك فلا تلقاها ، فذهبت أستوضحك الأمر فزورت كلاماً يمتهن عقل الفتاة المصرية ويضع من قدرها ويحط من خطرها ، ويتهمها بالرجعية والجمود . فما انطلى على الزور ، وأنا أعرف أنك استنزفت كل ما ادخرت في سني حياتك لتهيىء داراً أنيقة تستقبل فيها عروسك الجميلة ولتتخلق من نفسك رجلاً أنيقاً جذاباً ولتتمرفتاتك بالهدايا الثمينة الخلابة . فعلت كل ذلك وأنت كز الجبلة شحيح الكف ضنين بالمال . فيا ليت شعري هل حملت نفسك مالا تطيق لترضي سعادة البك ولتخدع الفتاة عن نفسها ؟

آه ، يا صاحب القبعة ، لقد خسرت مالك وشرفك لأنك رفضت أن تكون مصرياً يتمسك بالمعاني السامية للدين والوطن و .

كامل محمود حبيب

الحركة العلمية بالاسكندرية

في عصر الحروب الصليبية

الأستاذ أحمد أحمد بدوى

كانت الإسكندرية تلى القاهرة من حيث المكانة العلمية فى ذلك الحين ، حفلة بطائفة كبيرة من أعيان العلماء ، فى مواد الثقافة المختلفة ، ودرس فيها كثير من رجال السنة ، حتى فى الوقت الذى كان مذهب أهل الشيعة سائداً فيها ، وأنشئت فيها أول مدرسة فى الديار المصرية كلها ، وإليها رحل صلاح الدين لاستماع حديث رسول الله .

وقبل أن تنشأ المدارس بها ، كان جامع العطارين منذ أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٧٧ هـ معهد علم وينبوع ثقافة ، وقد ظل يؤدى رسالته طول عصر الحروب الصليبية ، ويساهم مساهمة جدية فى نشر العرفان .

وتنوعت الدراسات فى جامع العطارين ؛ فهذا عمر بن عيسى السوسى نحوى أخذ عنه النحو أكثر أهل الأسكندرية ؛ وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه وتوفى سنة ٤٩٨ هـ . وهذا عبد الرحمن ابن أبى بكر بن خلف شيخ الإسكندرية الذى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها ، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسى : ما رأيت أحداً أعلم بالقراءات منه ، لا بالشرق ولا بالمغرب . وهذا محمد بن أحمد بن الخطاب شيخ الأسكندرية فى الحديث وتوفى سنة ٥٢٥ . أما أبو القاسم بن مخلوف فأحد كبار المالكية الذين أذاعوا هذا المذهب فى الأسكندرية . وكان لمحمد بن الحسن بن زرارة حلقة فى الجامع لإقراء الأدب كما كان المشرف على خزانة الكتب فيه . وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع الجيوشى العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير أحد الأئمة المتبحرين فى التفسير وفقه المالكية والأصول والبلاغة كما كانت له اليد الطولى فى علم الأدب . وكان عز الدين بن عبد السلام يقول عنه : الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرفيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالأسكندرية .

وأول مدرسة أنشئت بهذا الثغر المدرسة الحافظية التى أقيمت فى عهد الحافظ الفاطمى (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) ويظهر أنها أنشئت فى عهد الوزير أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش لتدريس علوم الشريعة . ويحفظ لنا القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٤٥٨) نسخة سجل بتولية مدرس هذه المدرسة . وقد تكفل فيه الوزير برزق طلبة المدرسة وأستاذها الذى سيشرف على هذا الإنفاق . وفى هذا السجل يتحدث عن السبب الذى دعا إلى بناء مدرسة بثغر الأسكندرية فيقول : « ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الأسكندرية — حماه الله تعالى — على غيره من الثغور ، فإنه خليق بعناية تامة ... لأنه من أوفق الحصون والمعاقل ، والحديث من فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوى والناقل ، وهو يشتمل على القراء والفقهاء ، والرابطين والصلحاء ، وأن طلبى العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطارئين عليه ، مشتتو الشمل متفرقو الجمع — إلى أمير المؤمنين أن يكونوا حاوين ، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين مشتتين ، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية ... »

واختارها ابن السلار الوزير الفاطمى كذلك سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) لإنشاء مدرسة للشافعية فيها ، أسند إدارتها إلى السلفى وقد عمرت هذه المدرسة ، وكانت تعرف بالمدرسة السلفية حتى بعد وفاة شيخها ، وفيها تخرج كثير من العلماء الممتازين ولم يكن للشافعية مدرسة غيرها .

وقبل هاتين المدرستين ، سكن الأسكندرية ودرس فيها عالم ممتاز هو محمد بن الوليد الطرطوشى ، فقد تزوج من موسرة وهبت له داراً هيأ منها قاعة وهبها للطلبة ، وجعلها مدرسة لازم التدريس فيها ، وتفقه عنده بها جماعة من الأسكندريين . ولما توفى الطرطوشى سنة ٥٢٠ هـ جلس لإلقاء الدرس بها بعده تلميذه سند بن عنان الفقيه المالكى .

تلك حال المدارس قبل عهد الأيوبيين ، فلما جاء صلاح الدين استكثر منها ، وفتح أبوابها للآتين والآبدين ، ونصب فيها مدرسين لجميع ألوان العلوم . وقد شاهد ابن جبير هذه المدارس عندما زار الأسكندرية فى أيام ابن أيوب وقال عنها فى كتابه : « ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه

المدارس والمدارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية ، فيلاق كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم بجميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء ، الطارئين ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . »

والظاهر أن أغلب مدارس الأسكندرية كان لطائفة المالكية ، فقد عرفنا عدداً جماً من أساطين هذا المذهب يسكنون ذلك الثغر ، فمن تلك المدارس مدرسة ابن الأنجب ، وقد عرفت باسم مدرسها على بن الأنجب الفقيه المالكى ، وأحد أكابر حفاظ الحديث وعلومه ، صحب السلفى وانتفع به ، وصحبه العلامة المنذرى وأطال صحبته وعليه تخرج ، وله نظم علماء كقوله :

أيا نفس ، بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكى
عساك — إذا بالغت فى نشر دينه —
بما طاب من نشر له أن تمسكى
وخاف غدا يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسكى

وكان ينوب فى الحكم بثغر الأسكندرية ومات سنة ٦٢١ .

ومنها مدرسة بنى حديد التى درس فيها أحمد بن محمد بن سلامة وهو من رؤساء المالكية توفى سنة ٦٤٥ .

ولست أدرى إن كانت دار الحديث النبهية التى تولى مشيختها على بن أحمد العراقى المتوفى سنة ٧٠٤ قد أنشئت فى عصر الحروب الصليبية أو بعده .

وعرفت الأسكندرية طائفة من أعلام العلماء درسوا فى دور العلم المختلفة بها ، مما يدل على حركة علمية ناضجة :

فمن فقهاء الشافعية ، وكانوا قليلين بها — أبو الحجاج يوسف ابن عبد العزيز ، وهو من علماء الأصول والجدل ، روى عنه السلفى ومات سنة ٥٢٢ ، ومحمد بن عبد الله بن الفن المتوفى عن ثمانين سنة بالأسكندرية سنة ٦٧٩ .

ومن فقهاء المالكية ، وكانوا بها أكثرية — أبو الحرم مكى نفيس الدين ، وقد أدرك السنين الأولى فى الحروب الصليبية ، ومات سنة ٥٠١ ، وألف شرحاً عظيماً لمهذب الدولة البرادعى فى مجلد ، وشرحاً على ابن الحلاب فى فقه المالكية أيضاً فى عشر مجلدات ، وأبو الحسن على بن إسماعيل الأبيارى الذى برع فى علوم شتى : الفقه والأصول وعلم الكلام ، وله مؤلفات حسنة ، منها شرح البرهان فى أصول الفقه ، وكان بعض العلماء يفضله على فخر الدين الرازى فى الأصول ، ومنها كتاب سفينة النجاة ، على طريقة إحياء العلوم للغزالى . وكان الفضلاء يقولون : إنه أكثر إتقاناً من الإحياء وأحسن منه . وأصله من مدينة أبيار على شاطئ النيل بالقرب من الأسكندرية ، ومات سنة ٦١٦ . ومنهم ابن رواج تلميذ السلفى ، وهو عالم ورع توفى سنة ٦٤٩ هـ .

ونبغ فى الأسكندرية طائفة كبيرة من القراء ، نذكر منهم الحسن بن خلف القيروانى المتوفى سنة ٥١٤ . واليسع بن عيسى الأندلسى الذى أخذ القراءات عن أبيه ، وكان أبوه من جلة المقرئين ، وأقرأ هو بالأسكندرية ، ثم رحل إلى مصر فقربه صلاح الدين ، ورتب له معلوماً وافراً . وكان يكرمه ويشفعه فى مطالب الناس . وكان مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة مؤرخاً ، له كتاب تاريخ فى محاسن المغرب وتوفى سنة ٥٧٥ . ومنهم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوى الفقيه المالكى المقرىء المحدث المتوفى سنة ٦٣٦ ، وقد انتهت إليه رياسة العلم فى الثغر . وعبد الله بن محمد النكزاوى المقرىء النحوى المؤلف المتوفى سنة ٦٨٣ . والمكين الأسمر شيخ قراء الأسكندرية المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

ومن رجال التفسير بالأسكندرية يحيى بن محمد التجيبى ، قال الذهبى : حج وجاور ، وسمع بمكة وسكن الأسكندرية ووعظ ، وصنف فى التفسير والرقائق ومات سنة ٦٥٢ .

ومن رجال الحديث بها عبد الله بن عبد الرحمن الدمانى ، من ولد عثمان بن عفان ، كان واسع الباع فى علم الحديث ، كثير الرواية ، متصرفاً فى النظم والنثر ، مات سنة ٥٧٢ . وأبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف ، وهو شيخ المالكية بالثغر ، تفقه على الطرطوشى ، وصار إمام عصره فى المذهب ، وعليه مدار الفتوى مع الورع والزهد ، وله مصنفات منها كتاب التذكرة فى أصول الدين ، وهو الذى قصد إليه صلاح الدين وسمع منه موطأ مالك ومات سنة ٥٨١ هـ . ومنهم الفقيه المالكى المحدث أبو العباس

أحمد ابن عمر القرطبي ، سمع الحديث من مشايخ المغرب وتلمسان وسبته ، ورحل مع أبيه من الأندلس صغيراً ، وسمع بمكة والمدينة والقدس ومصر ، واستقر به المقام في الأسكندرية ، وكان معروفاً بالبلاغة والتقدم في علم الحديث ، وله على صحيح مسلم شرح سماه المفهم في شرح صحيح مسلم ، واختصر صحيحي البخاري ومسلم ومات سنة ٦٥٦ ، ومنهم ابن العماد منصور بن سليم الذي رحل في طلب العلم إلى مصر وبغداد ودمشق وحلب وغيرها ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله ، وبالفقه ، وألف فيهما كما ألف تاريخاً للأسكندرية ، وصنف معجم شيوخه . وممن روى عنه الشرف الدمياطي ، ومات سنة ٦٧٣ . ولم يخلف في الثغر مثله .

وعرفنا في الإسكندرية طائفة من النحاة ، نذكر من بينهم الحسن بن جعفر بن صوان الذي صنف كتاباً في النحو سماه المذهب ، وكان موجوداً سنة ٥١٧ . ومنهم ثابت بن حسن خليفة اللخمي ، وكانت له معرفة بالنحو ، وينظم شعر علماء كقوله :

العلم يغنم أهله أن يغنما ... فاسمح به تنل المحل الأرفعا
واجعله عند المستحق وديعة ... فهو الذي من حقه أن يودعا
والمستحق هو الذي إن حازه ... يعمل به أو إن تلقنه وعى

ومات سنة ٦٣٥ ، وعيسى بن عبد العزيز بن عيسى ، وكان مقرئاً نحويا ، وترك مؤلفات تزيد على خمسة وأربعين في النحو والحديث والوعظ والتاريخ والأدب والقراءات والتجويد والفقه ، منها كتاب الأمنية في علم العربية ، والرسالة البارعة في الأفعال المضارعة ، والإفهام في أقسام الاستفهام ، وكتاب الجامع الأكبر والبحر الأزخر في القراءات ، وقد قرىء عليه في رجب سنة ٦١٤ بداره في ثغر الإسكندرية . وله ديوان شعر ومات سنة ٦٢٩ هـ . ومنهم العالم المشهور ابن الحاجب فقد وفد على الإسكندرية . وعبد العزيز بن مخلوف الذي قدم إلى الإسكندرية من بلاد المغرب وأصبح بها من أئمة النحو ، وتخرج على يديه نحاة الإسكندرية ولكنه لم يصنف شيئاً ، وله شعر متأثر بالنحو تأثراً بالغاً مثل قوله :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر ... فأصبح ممقوتاً به وهو لا يدري
يجر ذيول العجب طالب رفعة ... ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

ومات سنة ٦٩٣ .

وأرجو أن أوفق في فرصة أخرى إلى دراسة باقي ألوان الثقافة ومعرفة رجالها .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

مراجع البحث :

١ — الديباج المذهب .
٢ — حسن المحاضرة .
٣ — طبقات الحفاظ للسيوطي .
٤ — السلوك للمقريزي .
٥ — بغية الوعاة للسيوطي .
٦ — طبقات القراء للذهبي .
٧ — كشف الظنون .
٨ — رحلة ابن جبير .
٩ — وفيات الأعيان .
١٠ — الدرر الكامنة .
١١ — صبح الأعشى .
١٢ — النجوم الزاهرة .
١٣ — شذرات الذهب .
١٤ — طبقات المفسرين للسيوطي
١٥ — الروضتين في أخبار الدولتين
١٦ — الخطط للمقريزي
١٧ — طبقات الشافعية للسبكي .

إعلان

تعلن إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة الجمهور أنه يجب في حالة انقطاع التيار الكهربائي عن أي حي من الأحياء أو العمارات في أي وقت من الليل أو النهار المبادرة بالاتصال بالإدارة العامة تليفونياً في نمرة ٤٦٣٣٥ حتى تقوم فرق الإصلاح فوراً لإعادة التيار .

والإدارة تلفت نظر الجمهور أنه يجب الاتصال بها لأخذ تصريح بأقامة الزينات الكهربائية في المناسبات المختلفة قبل إقامتها بوقت كاف حتى تستعد لها ولا يتسبب عنها قطع التيار عن الحي بأكمله وتلف الأجهزة الموصلة للتيار .

٢٠٥٨

مالتوس
ومشاكل السكان في العالم

للأستاذ فؤاد طرزي

لم يثر أي كتاب من الكتب ضجة كالضجة التي أثارها كتاب توماس مالتوس (بحث في نظرية السكان) الذي صدر في سنة ١٧٩٨ في منتصف فترة النهضة التي تسمى نهضة « الزيادة الكبرى » في مجموع السكان وفي بلاد إزداد عدد سكانها زيادة سريعة لم تدانها أية زيادة من الزيادات التي حصلت في بلدان القارة الأوربية الأخرى . فقبل هذه النهضة بـ ١٥٠ سنة كان سكان القارة الاوربية يبلغون قرابة الـ ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ولكن بعد النهضة بـ ١٥٠ سنة أخرى واجهت شعوب أوروبا مشكلة ابتداء حصول نقصان في مجموع السكان . ولكن في سنة ١٧٩٨ ، عندما أخذ يتضاءف عدد سكان القارة الأوربية الذي يبلغ الـ ١٨٧٫٠٠٠٫٠٠٠ — على الرغم من ارتفاع عدد المهاجرين الذي بلغ ٥٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ — اكتسبت نظرية مالتوس التي سماها نظرية زيادة السكان أهمية عريضة .

في عام ١٦٥٠ كان تعداد سكان العالم يقارب ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، ثم بلغ هذا التعداد في سنة ١٩٤٠ بليونين ، وقد حصل نصف بليون من هذه الزيادة خلال المائة سنة بين ١٦٥٠ و١٧٥٠ ، في حين حصلت زيادة البليون الآخر في السنوات التي تلت ذلك . وبذلك ازداد في ٣٠٠ سنة عدد الأوربيين — الذين يدخل فيهم السلالات المتعددة النفية التي تعيش في الخارج — زيادة تبلغ السبعة أضعاف ، وهكذا ، ومع مرور الزمن فقدت ظاهرة الزيادة — كما كتب لنكزلي دافيس — شبيهة بسلك رفيع يحترق ببطء وتستر ، إلى أن أدرك الاحتراق نهايته فانفجر . ولعل أبرز مظهر لظاهرة زيادة السكان في الغرب — وهي الظاهرة التي أطلقنا عليها اسم نهضة « الزيادة الكبرى » في مجموع السكان — تتبدى في إزدياد عدد نفوس الشعوب الناطقة بالإنجليزية . فقد كان تعداد هذه الشعوب يبلغ ٥٫٥٠٠٫٠٠٠ في عام ١٦٠٠ فتضاعف إلى ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ في عام ١٩٤٠ . وفي المائة سنة الأخيرة من التاريخ التقويمي إزداد عدد سكان الجزر البريطانية نحو أربعة أضعاف ما كان عليه ، هذا بالإضافة إلى أن أكثر من ١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ قد هاجروا من هذه الجزر إلى أميركا الشمالية ودومنيونات ما وراء البحار .

ويرى العلماء المحدثون أن مالتوس قد وجه نشاطه مبدئياً ، في الطبعة الأولى من رسالته ، نحو دراسة مشكلة الفقر ، وإن مسألة السكان كانت ثانوية في آرائه . فقد أراد أن يدرس طبيعة الفقر كما انكب آدم سمث على دراسة طبيعة الثروة ؛ إلا أنه وضع رسالته يرد بها على وليم كودوين والتلاميذ الاشتراكيين مستهدفاً إثارة المحافظين الدينيين والاشتراكيين المتطرفين في آن واحد . وكتب مؤرخ حياته جيمس بونار يقول : « لقد غدا مالتوس من بعد ثلاثين سنة أمطر خلالها الناس سيلا من الأخطاء أعظم شرير في عصره ، وأصبح إنساناً يدافع عن الجدري وعن العبودية وعن قتل الأطفال وعن إلغاء الزواج المبكر ، إنساناً بلغت به الوقاحة أن يتزوج بعد إلقائه وعظاً يبين فيه مساوىء العائلة ، إنساناً ظن أن العالم بمجموعه سلسلة ظواهر تحكمها عوامل الشر حكماً يدفع إلى الاعتقاد بأن خير الأعمال هي ما كانت أكثرها إيذاء . ولم يقدم مالتوس — باعتباره شارحاً لأسباب الفقر — أجوبة مقنعة تتفوق في شمولها وقناعتها على تلك الأجوبة التي وضعها بعض المتعمقين من ذوي العقول الجامدة كهنري وجورج وكارل ماركس . وإن نظريته التاريخية التي نقحها في الطبعة السادسة لرسالته هي أكبر ما قدمه » .

قرر مالتوس بأن نسبة الزيادة بين السكان تفوق نسبة الزيادة في المواد الغذائية ، ولذلك — إذا لم تضبط هاتين النسبتين عند حد متوازن واحد — فستجتاح الإنسانية المصائب والكوارث والنكبات والآلام . وقد أفرغ نظريته في قانونه المشهور : تجري زيادة السكان على شكل متوالية هندسية — بهذه الصورة ٢ و٤ و٨ و١٦ و٣٢ ... الخ — وتجري زيادة المواد الغذائية على شكل متوالية حسابية — بهذه الصور ١ و٢ و٣ و٤ و٥ ... الخ — فإذا لم تضف أراض جديدة كما يقول مالتوس فسوف لا يستطيع أي شعب في العالم أن ينتج من المواد الغذائية صعوباً إلا ما كان

بنتجه فى السنة السابقة ، فى حين أن عدد السكان — كما ظهر فى أميركا — يزداد زيادات متضاعفة من جيل إلى جيل ، ولذلك فإن زيادة السكان لا تسير فى مستوى واحد مع إنتاج المواد الغذائية إلا بوجود تحديدات معينة ، وإن التحديد الحاسم بين هذه التحديدات هو المجاعة التى تعتبر الضابط الذى يوقف ازدياد السكان . وعلى ذلك فإن هناك تحديدات أخرى من الممكن أن يظهر مفعولها قبل ظهور فعل هذا التحديد ، وهى الفقر والحرب وسوء التغذية والفجور . كما أن تقييد الزواج من الوسائل الرئيسية المعينة على التهرب من مثل هذه النتائج المخيفة . وكل مشروع يوضع لإنشاء مجتمع أصلح ولتحقيق حاجات أكبر يستهدف إضعاف مفعول هذا القيد — تقييد الزواج — لا ينجح إلا فى تقوية الجراثيم التى تنخر كل قلب الإنسانية .

إن العلماء يميلون اليوم إلى تجنب المناقشات التى لا طائل تحتها بتوجيه سؤال واحد ، هو : كيف يمكن لفروض مالتوس أن تصاغ بشكل تثبت فيه لاختبارات الباحثين فى منشأ كل زيادة السكان . ويقول هؤلاء العلماء : دعنا نفترض حصول زيادة كبيرة فى السكان أعقبها هبوط فى استهلاك الأغذية ، وإن ارتفاع معدل الوفيات أدى فى النهاية إلى المجاعة . ففى هذا الفرض — حسب نظرية مالتوس — يجب أن يكون العلاج الوحيد تقليل نسب الزواج بدرجة كافية للتقليل من نسب الاخصاب البشرى . ولكننا إذا ما أخضعنا هذا التقدير الافتراضى إلى حقائق علم السكان نجد — باستثناء حالات الحرب — أن شعباً واحداً فقط من بين شعوب أوروبا قد انطبقت عليه تنبؤات مالتوس وهو الشعب اليهودى . وبتعقب فترة المائة والخمسين سنة التالية لعهد مالتوس ظهر لعلماء السكان بأن هذا الباحث قد عاش فى مرحلة خاصة من مراحل التطور الإنسانى . ومن طريق المصادر العلمية المادية وتقدم الوسائل الاحصائية والرياضية وتطور أساليب إحصاء النفوس يستطيع هؤلاء العلماء أن يحللوا هذه المراحل ليكتشفوا التغيرات الأساسية فى نسب الوفيات والولادات التى تخلقها ، وبذلك تستطيع هذه التحليلات والدراسات أن تعينهم على إعداد العدة للمستقبل . ومن هنا يظهر أن أغلب أساليب التحليل والاحصاء الحديثة قد استخدمت لإصلاح عمل هذا الباحث الذى مر من روح العصر الذى كان يعيش فيه

ونحن نعلم علماً تاماً — بعد أن ندع جانبا التطورات التى تعود فى أصلها إلى ظروف الحرب — بأن معدل الوفيات قد استمر فى هبوطه منذ زمن مالتوس كما نعلم بأن ارتفاع معدل الأعمار لا ارتفاع معدل الولادات هو الذى سبب هذه الحركة فى مسائل السكان وهى الحركة التى دفعت مالتوس دفعاً مباشراً لصياغة نظريته . وكان لكارساندوس فضل الكشف عن هذا الهبوط فى معدل الوفيات الذى بدت ظواهره فى انجلترة حوالى ١٧٣٠ فى السنة التى ولد فيها أكبر معمر فى عصر مالتوس . ولقد أبان هذا الباحث أن المعدل قد هبط من ٣٥ فى الألف إلى ٢٢ فى الألف فى عام ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنين من إخراج مالتوس الطبعة الخامسة من رسالته . ثم مرت بعد ذلك مائة وأربعون سنة أخرى قبل أن تبدو بوادر هبوط فى معدل الولادات عام ١٨٨٠ يعادل الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات فى انجلترة حوالى ١٧٤٠ . وظلت الوفيات تتناقص إلى أن بلغت ١٠ فى الألف فى العقد الأول من هذا القرن ، وظلت تتزايد نسبة الولادات خلال الستين سنة التالية . ويعود سبب ذلك لحد كبير إلى الفرق الكبير بين المعدلين .

ولقد كان من نتيجة التطورات العظيمة فى العلوم الطبية والصحية وفى الشئون الاجتماعية العملية إنقاذ نفوس كثيرة ، ثم تعلم ذلك فى عام ١٧٥٠ بقيام الفلاحين بزرع أرضهم زروعاً زودتهم بالخضروات واللحم الطازج بدلا من تركها بوراً فى الشتاء ، كما وفر استعمال القطن بعد ذلك للطبقات العامة منسوجات رخيصة فازداد هبوط معدل الوفيات .

إن مشكلة السكان التى شغلت مالتوس خاصة ، مشكلة إطعام الشعب الإنجليزى الذى يتزايد عدده مع بقاء جزيرته كما هى من حيث المساحة . هذه المشكلة قد حلت — كما يقول هارولد رايت (١) بعد بضع مئات من السنين بنتيجة الزيادة الهائلة التى حصلت فى إنتاج البضائع المصنوعة ومبادلتها بالأغذية والمواد الخام المنتجة فى القارات الجديدة . فكلما ازدادت النفوس أصبح الغذاء أرخص لازدياد المهاجرين الذين ينتجون الأغذية

(١) كتاب السكان طبعة نيورك ١٩٢٣ ص ٣٣

في الخارج وازدياد العاملين الذين انتشروا في أوروبا عند استعمال الماكينة الزراعية والبواخر والقاطرات وهي الوسائل التي ساعدت على إنتاج الأغذية ونقلها من مكانها إلى محلات استهلاكها . فالثورة الصناعية قد قضت على أزمات السكان طوال مدة بلغت المائة عام .

وتزايد هذه الوسائل الجديدة مكن أوروبا من إنشاء شعب صناعي كثيف لم تكن تحلم باستطاعتها إعاشته . ولكي لا نقسط كل حق لمالتوس يجب أن نشير إلى أنه قد تنبأ بهذه الإمكانيات ولو كان تنبؤه مشوباً باليأس كما يظهر من الملاحظة التالية الواردة في رسالته .

« وقد نفرض ، ونحن في غمرة التأملات الشاردة المجدبة ، أن أوروبا يجب أن تنمي حبوبها في انجلترة وأن تكرس نفسها تكريساً تاماً للصناعة والتجارة وتصبح أحسن آلة عاملة على سطح الكرة الأرضية . ولكن حتى إذا ما جارينا المفترضين في مبالغاتهم وقلنا بأن طبيعة الأشياء ستنتهي بجعل أوروبا آلة عاملة من النوع الذي يفترضونه ، وإنها ستوفر إمكانيات تستطيع بواسطتها هذه القارة أن تزيد نفوسها زيادة تتجاوز مساحة أراضيها ، إلا أنه مع ذلك ستكون النتائج مؤلمة إيلاماً كبيرا ، إذ أن الحقيقة التي لا يصح نكرانها تتطلب أن يقوم كل أقليم ، حسب إمكانياته الطبيعية وقدرته على خلق الثروة ، بالإنتاج لنفسه فما العمل إذن عند ما تبدأ أمريكا — بمقتضى هذه الظاهرة — بسحب حبوبها من أوروبا لتكفي نفسها ، وحين تصبح المنتجات الزراعية الأوربية غير كافية لسد النقص الذي تحس به ؟ لا شك أنه سيبدو حينذاك بأن الفوائد الوقتية المتحصلة من زيادة نسب الثروة والسكان قد كانت غالياً ودفعت إلى مقاساة فترة طويلة عامرة بالآلام والمتاعب[1] .

ومع أن الثورة الصناعية قد وقت أوروبا من أخطار ازدياد السكان ، إلا أنها لم تعمل تعديلا أساسياً تحدى مالتوس ، ولذلك فإنه حين ابتدأت حركات الموازنة اتخذت الأسلوب الذي دعا إليه — اطراد هبوط معدل الولادات — ولو أنها لم تتشكل بالشكل الذي تنبأ به . فإن معدل الزواج ظل في منطقة واحدة مرتفعاً — في الروسيا — أما شعوب المدنية الغربية فقد تجنبت أزمات السكان بالإشراف على الولادات عن طريق وسائل التحديدات العائلية . فإذا ما قلنا بأنه قد تخلل عصر نمو السكان هبوط معدل الوفيات فيجب أن نعترف بأن هبوط معدل الولادات قد كان جزءاً مضادا .

فقد كان واضحاً منذ عام ١٨٥٠ بأن معدل الولادات قد هبط في فرنسا والولايات المتحدة وإيرلندا ، كما كانت الدلائل تدل على أن الزيادة الهائلة التي طرأت على الولادات في أميركا قد ابتدأت في الهبوط ثانية منذ الإحصاء الأول عام ١٧٩٠ . فبين عام ١٨٤٧ وعام ١٩١٤ هبط معدل الولادات في فرنسا من ٢٧ في الألف إلى ١٩ ، وهبط خلال الحرب العالمية الأولى إلى ١١ في الألف ثم استأنف بعد ذلك الهبوط بعد ارتفاع وقتي . وقد اشتد هذا الهبوط ، مع بعض التغيير حيناً ، أو مع عدمه في حين آخر ، في العصر الذي يسمى عصر الزواج ، ويعزى سبب هذا الاشتداد إلى تحديد الولادات داخل العائلة ، إذ المعروف أن عمليات تقليص حجم العائلة قد استمرت في فرنسا ، ثم انتشرت من هذه البلاد إلى شعوب أوروبا الغربية .

وأما في انجلترا فإن معدل الولادات قد وصل إلى درجة عالية عام ١٨٥٠ ، إلا أنه من عام ١٨٨٠ أخذ يعاني هبوطاً مستمراً . وفي خلال فترة قصيرة أمدها ستون سنة (بين ١٨٧٠ و١٩٣٠) هبط هذا المعدل من ٣٥ في الألف إلى ١٥ . وقد كان لهذا الهبوط أثر كبير على الحياة الإنجليزية .

فكيف إذن فشل مالتوس في التنبؤ بإمكانية هذا التقلص في حجم العائلة الذي يعتبر أعظم انقلاب في شؤون السكان في العالم الحديث ؟ لقد ظهر لأغلب المفكرين الأحرار بأن مالتوس كان يخدم جبهتين مختلفتين : جبهة المستغلين ، وجبهة ذوي السلطة . واكتشف العالم الألماني هانس ميوهوف بأن أعمال مالتوس قد تأثرت بدفاعه عن التقاليد ، كما أن العالم جيمس فيلد قد وصل بعد دراسة دقيقة إلى نتيجة أثبت فيها بأن مالتوس كان مطلعاً على الدعاية الموجهة لتحديد الولادات في زمانه ، ولذلك عارض بقوة كل تدبير طبيعي لتحديد حجم العائلة . .

(١) ف . ع مالتوس (بحث في السكان) الطبعة السابعة المجلد ٢ ص ١١ . مجلدات مكتبة الجيب .

ولعل هذا الدفاع عن التقاليد الأرثوذكسية — والذى دفع علماء السكان إلى أن يسموا صاحبه « البارسون مالتوس » قد جعل من منافسيه من أمثال فرانسيس بلاس وريشارد كارليك وروبرت ديل والدكتور جارلس نولتون أقدر منه فى معالجة الفروض العلمية

إن الضرورات تقتضى — حسب نظرية مالتوس — أن يكون الزوج قادراً على إعالة زوجة وستة أطفال ، أما علماء السكان فى الوقت الحاضر فيقولون إن إنجاب العائلة ثلاثة أطفال يكفى لاستقرار السكان ، بينما يؤدى إنجاب كل عائلة ستة أطفال إلى مضاعفة السكان من جيل إلى جيل . وليس هناك من يشك فى إخلاص مالتوس فى دفاعه عن الضابط المنوى ، ولكننا يجب أن نشير فى مقابل ذلك إلى أن الكتاب والمصلحين فى أيامه قرروا ما يقرره اليوم كثير من رجال الدين وعلماء التشريع وقادة الاجتماع بأنه إذا ما أراد المجتمع أن يجعل من الاتصال الجنسى قيمة سامية ؛ فالزواج المبكر خير معوان على ذلك .

ويبدو أن تاريخ الشعب الإيرلندى خير تصوير محزن لفرضية مالتوس ، وهو الشعب الذى كانت المجاعة أكبر آفة أصابته ؛ ففى سنة ١٦١٠ ابتدأ السير والتر راليه يزرع بذور البطاطس المستوردة من أمريكا فى مزرعته ، وبعد مضى جيلين أصبحت البطاطس الغذاء الرئيسى فى إيرلندا . وكان الفرد يزود بهذا المصدر الغذائى الجديد ، فيتزوج شاباً ثم ينمو بسرعة . ولذلك أخذ عدد السكان يتضاعف ابتداء من عام ١٨٤٩ إلى أن بلغ هذا التضاعف أوجه عندما صار تعداد السكان ٠٠٠ر ٣٠٠ ر ٨ . وقد جاء فى كتاب السير جيمس كونور « تاريخ إيرلندا » ما يلى : « لقد شجع المسلك الدينى الزيجات المبكرة ، وشجعت السياسة الإيرلندية الزيجات المبكرة كذلك ، وأدى هذا التشجيع المزدوج إلى حصول زيادة سريعة فى السكان . ولكن ظل ما يقارب الثلاثة ملايين والنصف من النفوس ملمومين فى أكواخ موحلة منطاة بالقش ، كل كوخ يتكون من غرفة واحدة بلا نافذة ولا منفذ . وفى عام ١٨٤٤ ظهرت فى أميركا الآفة النباتية التى تعطن البطاطس خلال بضعة أيام .

وفى صيف ١٨٤٦ اجتاحت هذه الآفة إيرلندا كالوباء الأسود وأهلكت المؤن الغذائية التى يعيش عليها الفلاحون ؛ ومات خلال خمس سنين بين ١٨٤٦ و ١٨٥١ حوالى ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١ شخص . وكان من نتيجة ذلك فيضان هجرة كبيرة من إيرلندا فغادرها خلال عقد واحد ربع السكان متوجهين إلى الولايات المتحدة . ثم أخذ عدد المهاجرين فى التزايد حتى بلغ فى ظرف جيلين ٠ ٠ ر ٠٠٠ ر ٥ ولكن الإيرلنديين جابهوا الموقف بإيقاف الزواج أو تركه . ويصعب علينا قياس معدل الولادات فى إيرلندا إلا فيما يتعلق بفترة منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن كارساندرس قال إن هذا المعدل ربما كان حوالى الأربعين فى الألف عام ١٨٥٠ ثم أخذ فى الهبوط بعد فترة قصيرة من هذا التاريخ فصار ٦٢٢ بالألف بين عامى ١٨٧١ و ١٨٨١ ، و ٢١٢ بالألف بين عامى ١٩١٠ ١٩٢٦ . وخلال هذه الفترة ازداد معدل نسبة النساء الإيرلنديات غير المتزوجات من اللواتى تتراوح أعمارهن بين الـ ٢٥ و ٣٥ من ٢٨ فى المائة فى عام ١٨٤١ إلى ٥٢ فى المائة فى عام ١٩٢٦ . ولا شك أن ترك الزواج بالنسبة لشعب بأكمله فترة طويلة يعنى بالطبع أن عدداً كبيراً سيتركون الزواج نهائياً .

ففى عام ١٨٤١ كان ١٥ بالمائة من النساء الإيرلنديات بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين غير متزوجات . وفى عام ١٩٢٦ ارتفع هذا المعدل إلى ٢٩ بالمائة . وهكذا ، فإن ثلاثة أعشار النساء الإيرلنديات يعشن بلا زواج . وأما بالنسبة لأولئك اللواتى تزوجن فإن معدل الولادات بقى بينهن عالياً . وفى عام ١٨٦١ كان يوجد لكل ١٠٠ امرأة إيرلندية متزوجة من اللواتى دون الخامسة والأربعين ١٣٠ طفلا دون الخامسة . وفى عام ١٨٢٦ كان العدد المماثل ١٣٠ طفلا أيضاً . ويقابل ذلك فى انجلترا وفى نفس الفترة هبوط المعدل من ١٠٠ طفل لكل امرأة متزوجة إلى ٧١ وقد استقر الآن عدد سكان إيرلندا حوالى ٠٠٠ ر ٣٠٠ ر ٤ نسمة أى ما يقارب نصف العدد الذى كان عليه عدد النفوس قبل المجاعة . ولهذا السبب نجد أن عدد المنخرطين فى السلك الدينى فى إيرلندا يفوق أى عدد مماثل له فى العالم الغربى إذا لم نقل فى العالم كله . فقد جندت هذه البلاد أبناءها فى سلك الرهبنة ليخدموا الكنيسة الكاثوليكية فى كافة أنحاء العالم . ولكننا إذا عدنا إلى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وجدنا أنه لم يحدث فى هذه البلدان إلا هبوط قليل فى نسبة الأفراد المتزوجين ؛ ولذلك نرى الكنيسة الكاثوليكية

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للاستاذ إبراهيم البطراوى

(تتمة)

وفى هذا الكتاب كما فى كل ما كتب جيمز تقريباً نجد أوضح البراهين وأقواها ، تصريحاً أو تلويحاً ، على أن العلم — بعد تجارب مضنية استغرقت القرون الماضية — عجز بل اعترف أنه من المحال عليه أن يجد معلولا من غير علة . ودليله على هذا جميع تجاربه الصحيحة الماضية بدون استثناء ، ولذا وضع قانونه الشهير عن (العلة والمعلول) Cause and Effect

ثم يرينا فى (نجومه) دلائل عظمة الله وقدرته ولطفه وحلمه وعطفه ، تلك الدلائل القوية التى تبهر العقول وتصعقها . وإن أصدق ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه تسبيحة العالم .

ثم ينظر إلينا قائلا : وهاكم البرهان الواضح القاطع — بينما أشار إلى كتابه (الكون الناضج) وإذ فيه :

« إن الطبيعة تتجافى الآلات ذات الحركة المستديمة ... ويفسر علم الديناميكا الحرارية كيف أن كل شىء فى الطبيعة يصل إلى حالته النهائية بعملية يطلق عليها : (زيادة درجة التعادل) (١) Entropy

(١) وهى خارج قسمة مقدار الحرارة على درجة الحرارة المطلقة ، وهى تتزايد فى الطبيعة باستمرار لأن مجموعها فناء الذرات الكونية من نجوم وأجرام ... عن طريق الإشعاع Radiation وهذا لا ينقطع لحظة من الزمن . ولنلاحظ على سبيل المثال أن الشمس وحدها تصدر من الإشعاع ما يكاد يضل بالضبط ٤٠٠ مليوناً من الأطنان فى الدقيقة الواحدة ، وهو يساوى متوسط ما يمر من الماء تحت جسر لندن ١٠٠٠٠ مرة تقريباً

خسرت كثيراً من الجندين فى هذه الأقطار . ومن هنا نرى أن تخفيض إيرلندا معدل الولادات فيها بترك الزواج يعتبر نتاج سلسلة غريبة من الظروف الاقتصادية قويت بإخلاص أهلها للكنيسة ، وأن قصتها تعتبر نموذجاً لطريقة إنقاص عدد السكان فى العالم وهى الطريقة التى يمكن أن تلفت انتباه مالتوس الأخلاق أكثر من جلبها انتباه مالتوس العالم علاوة على دلالتها على مبلغ جسامة الوسائل التى يحتاج إليها لمزيفة تفسير مالتوس .

(البقية فى العدد القادم) فؤاد طرزى

فدرجة التعادل إذن يجب أن تزيد على الدوام ، وهى لا تقف عن الزيادة إلا إذا وصلت إلى حد لا يمكن أن تتعداه . فإذا وصل الكون إلى هذه المرحلة وأصبحت كل زيادة أخرى فى درجة التعادل (أنتروبى) مستحيلة ، فى الكون ...

« وقانون الطبيعة دائماً هو أحد شيئين ليس غير : الفناء أو الموت . وهى لا تجيز إلا سكوناً واحداً هو سكون القبر ...

وعلى أصح الشاهدات العلمية نجد أن درجة التعادل الكونية فى ازدياد مستمر سريع ، وإذن فقد كانت لها بالضرورة بداية وأنه حدث ما يمكن أن يسمى (خلقاً) وفى وقت ليس ببعيد بعداً لا نهائياً »

وإن نهائية الفضاء والزمن على هذا النحو لتضطرنا إلى التسليم بأن عملية الخلق عمل من أعمال الفكر » .

« وإن تحديد الثوابت مثل نصف قطر الكون ، وحجمه ، وكهاربه (ليستلزم) وجود الفكر الذى تقاس خصوبته بضخامة هذه الكميات » .

ثم يبين لنا أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ، وليس كمثله شىء ، فلا يجوز عليه ما يجوز على خلقه بهذه العبارة الرائعة : « إن الخالق القادر على كل شىء ، والذى لا يخضع للقيود أياً كان نوعها ، لا يقيد نفسه بالقوانين التى تسود هذا الكون »

ولم يكتف بهذا بل نزهه سبحانه عن الحلول فى زمان أو مكان (لأنه خالق الزمان والمكان) بنفس الحجة القاطعة والأسلوب المذهب الرنان .

فالزمن والفضاء اللذان هما إطار الفكر قد كان وجودهما من غير شك جزءاً من هذه العملية — عملية الخلق — وقد كانت علوم الهيئة البدائية تتخيل خالقاً يعمل فى الفضاء والزمن فيصوغ الشمس والقمر والنجوم من مادة غفل موجودة من قبل ؛ أما النظرية العلمية الحديثة ، فإنها تضطرنا إلى أن ننظر إلى الخالق على أنه يعمل خارج الفضاء والزمن اللذين هما جزء من خلقه ، كما يعمل المصور خارج لوحته .

وهذا يقابل قول أوغسطين : « لم يخلق الله الكون فى زمن بل خلقه مع الزمن » .

والحق أن هذا الرأى قديم يرجع إلى زمن أفلاطون الذى يقول : « خلق الزمن هو والسموات فى وقت واحد ، وذلك

لكي يفنيا معاً إذا أريد فناؤهما . هكذا كان عقل الله وفكره في خلق الزمن »

وحين يهم جينز بتوديعنا لا يفوته أن يؤكد كلامه بقوله : « والآن فإن الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد في الجانب الطبيعي من العلم يقرب من الإجماع — على أن نهر المعرفة يتجه نحو هذه الحقيقة وهي أن الكون بدأ بلوح أكثر شبهاً بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ... » .

« ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية — إنما نعني ذلك العقل الكلي الذي توجد فيه على شكل يفكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا » .

وهذا ما يعنيه بعض الفلاسفة المتقدمين من تحويل الفكر إلى مادة ، وما يعنيه العلم الحديث اليوم من محاولات لعله يستطيع رداً الطاقة أو تحويلها إلى مادة .

وفي قول جينز تفسير (إلى حد ما) لمعنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

على أنه يجب أن نكون أكثر حذراً ولياقة في تمييز حقائق العلم من فروضه وآرائه : فالقانون أو الحقيقة نصدقها ، وما عدا ذلك يكون حكمه حكم غيره من الآراء الإنسانية . وعلى حد تعبير الغزالي:

العاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال : « لا تعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله . فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول : فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من كلام أهل الضلال عالماً بأن معدن الذهب الرغام » اهـ

هذا هو العلم ، وإن شئنا قلنا الدين ؛ فكلاهما فطرة الله . وكلاهما في تراوحه — في حدود قوانينه ومجموعاته الأزلية — خاضع لإرادة الله وسننه التي منها سنة التطور والارتقاء .

ولعل خير ما أوجهه إلى الشباب تلك العبارة الطريفة التي وجهها إليهم وإلى الشيوخ أيضاً قبل اليوم بقرون ، الفكر العبقري الإمام الغزالي . قال رحمه الله في كتابه المنقذ من الضلال) : « إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؛ فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ولا يتسع القلب (أي العقل) لتقدير ذلك ؛ بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكا وإمكاناً : فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة وقال قائل لا ؛ بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها وشاهدت ذلك منه ؛ لم أشك بسببه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ؛ فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه على هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقين » اهـ

***

تلكم هي قضية الشباب وقائمها وملابساتها . وهذا غاية ما أمكن أن نصل إليه من وسائل علاجها ، والتاريخ بحوادثه شاهدها وأنتم قضاتها العدول ، فالحكم لها أو عليها وبما يترتب على ذلك منوط بذمتكم أنتم ، فعليكم وحدكم تقع جميع تبعاته .

وقبل أن أختم كلامي أرى واجب العلم يحتم علي أن أثبت ضمن أقوالي هذه الحقيقة :

وهي أننا سجلنا في أمتنا المحلي هذه الأيام ظاهرة تنبئ القرائن أنها تتجه وصالح قضيتنا .

ومهما يكن الباعث عليها فإنا على كل حال نرجو أن نستفيد منها إلى حد كبير .

إبراهيم الطراوي

مراجع لم تذكر في ثنايا البحث :

(١) الرد على الدهريين (للسيد الأفغاني)
(٢) تهافت الفلاسفة (للامام الغزالي)
(٣) النقد التحليلي (للدكتور محمد أحمد الغمراوي)
(٤) سنن الله الكونية (" " " ")
(٥) أسرار الفطرة : (الدكتور الغمراوي والدكتور الكرداني بك)
(٦) الكون الناطق : ت (الأستاذ مرسي)
(٧) الثورة الفرنسية (للدكتور صبري)
(٨) الكاتب المصري
(٩) مذهب هارون للدكتور سوريال

ترجمة وتحليل :

الخلود

لشاعر الحب والجمال الروسيين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

[تتمة]

وهذه البصيرة التي تشهد الإله باطناً في كل شيء ، ظاهراً من كل مكان ، ترى فوق ذلك أن العالم — بحبه وجاده — ما ينفك باحثاً عن الله ، ناشداً نجواه ، حريصاً على عرفان صفاته ، والتقرب إلى ذاته ؛ وأنه بجماله ونظامه وإحكامه صورة تحكي جمال خالقه ، وحكمة مدبره ، وقدرة صانعه ، ومرآة تنعكس فيها معاني رحمته ورأفته ، وفضله وكرمه . فالنهار لا يشع بنور الشمس وإنما يشرق من نظرات الإله ، والحسن لا يرثه المرء عن أبويه وإنما يفيض من بسمات الله ؛ فإذا ما ابتسم راضياً عن العبيد ، أذن لمولود جميل سعيد ، أن يبهر هذا الوجود !

فما أجدر القلب الذي ينبض بإذن الله أن يعبده ويهواه !

« إن هذا العالم الذي ينشد الوصول إلى كمال صفاتك
صورة تحكي جمالك ، ومرآة تعكس مزاياك :
فالنهار يفيض من نظراتك ، والحسن يفيض من بسماتك ،
والنفس في كل مكان تلقاك ، والقلب أينما كان يهواك ! »

بيد أن هذا الإله الحي القيوم ، القدير الرحيم ، لو اجتمعت لفطر السليمة والأرواح الصافية على أن تصفه لا تستكمل وصفه ولو كان بعضها لبعض ظهيراً ؛ وإن العقول البشرية لأعجز من أن تدرك مزاياه الحسنى : فهي كلما شرعت تصفه أدركها الكلال ، وكلما أخذت تتكلم عنه غلبها الصمت ، وكلما طفقت تتحرك نحوه وزحت تحت ذاته القاهرة ؛ فتستكين وتشعر بضعفها ثم لا تجد الراحة بعد كلالها إلا في طمأنينة الوجدان ، ولا تطيق الكلام بعد سكوتها إلا بألفاظ الحمد والتقديس ، ولا تستطيع الحركة بعد جمودها إلا بالقيام والركوع والسجود .

« لا يستكمل وصفَ اسمك كلُّ هذه المزايا الباهرة
أيها القيوم الأزلي المقتدر الحبيب !
والروح — وهو رازح تحت ذاتك القاهرة —
يقدس قدرتك حتى في صمته الرهيب ! »

ومهما قدس الروح قدرة الله ، ومهما جدَّ في البحث عنه وأناق اليد بذاته وخضع له في جميع أحواله ، فلن يُسلمه شيءٌ من ذلك إلى أكثر من أن يحبه حباً يملك عليه مشاعره ويزيد شوقه وحنينه ؛ فيستحيل هذا الحب في النفس الشاعرة ناراً مضطرمة لا تتراجع دون باب الله مهما طردت عنه حتى يؤذن لها بالدخول فيأخذ لهيبها في الانطفاء حين ترى عن قرب بعض صفات هذا الخالق العظيم .

« رباه ! ما زال يأتي إليك بذاته
هذا الروح المحطم خاضعاً لإرادتك الأزلية .
ولما ضاق بالحب شاعراً أنه ختام حياته ،
التهب لعرفان صفاتك القدسية ! »

هذه صلاة الروح في معبد الطبيعة : ألحانها من السماء ، ونورها من الله ، وينبوعها الشعور والوجدان .

ومثل هذه الصلاة الروحية كثيراً ما صفا بها قلبا لامرتين وحبيبته ، فانطلقا على نغماتها إلى العالم المجهول الذي يتخيلان الوصول إليه ، فيجثوان بين يدي الإله الرحيم ، ويصليان لوجهه الكريم ، ويدعان الصباح والمساء يحملان إليه أنفاسهما الطاهرة ثم يستشعران في سكرتهما البون الشاسع بين السماء والأرض ؛ فما الأرض إلا سجن أو منفى ، وما السماء سوى المأمن والمأوى .

« ولما خفتت القول استجمع أنفاسنا قلبانا
إلى عالم مجهول حققته الآمال ،
ودأب الصباح والمساء ينشدانه نجوانا
ونحن جاثيان أمامه بالندى والآصال ؛
فرأت عيوننا الأرض منفانا والسماء مثوانا
وهي سكرى في نشوة ما تزال ! »

ومع ذلك فما هذه الصور الرائعة التي تبدو لعيني الشاعر في سكرته الروحية سوى نشوة ما أسرع ما تزول ؛ والروح كلما شرد هذا الشرود ، ورأى هذه الرؤى وثب ثائراً هائجاً وراح يضرب الجسد الذي يحبه ، ويريد أن يتخلص منه إلى الأبد لينتقل من

هذه الأخيلة الكواذب إلى عالم الحقيقة الخالد . وهذا ما حرك نفس الشاعر وحمله على التأوه والأنين ، وعلى التضرع إلى الله أن ينعم على الروح بفصله حقاً عن الجسد وإطلاقه من قيوده حين يكونان فى مثل هذه السكرة لكيلا يرتدا بعدها إلى الصحو الذى ليس فيه سوى الواقع المر الأليم .

« وفى هذه اللحظات التى يثب فيها الروح الشرود ،
ويود لو حطم الصدر الذى يحبسه ويخنقه ...
أواه ! لو استجاب لنا الإله من أعلى الوجود ،
فضرب كلاً منا ضربة تفصله وتطلقه ... »

يتمنى لامرتين هذا فى تأوه وأنين ، لأنه يتوقع السعادة يوم تنفصل الأرواح عن الأبدان !

فالأرواح ما دامت أجسادها تكبلها بأغلال من عظام ولحم وشحم وعروق وشرايين ، وتكلفها ما لا تقتضى مطالبه من طعام وشراب ومشتهيات ، لن تستطيع أن تتحرك قيد أنملة ؛ بل ستبقى محجوزة عن كل ما تريد ، محجوبة عن كل ما ترغب !

وما بالأرواح رغبة فى حطام فانٍ أو مادة زائلة ، إنْ تريد إلا أن تسرى فى العوالم أنى تشاء ، وأن تجتاز حزنها وسهلها ، وعاليها وسافلها ، وظاهرها وباطنها ؛ وأن تسرح من سماء إلى سماء فترى ما ينشاها وتسمع موسيقاها وأن ترق فى لمح البصر إلى موطنها الأول روضة الخلود ، وإلى ينبوعها الذى لا ينضب روح الإله ؛ وأن تطير على جناح الحب فى فضاء واسع لا يحده البصر ، ولا ينتهى فى الزمان ولا المكان ؛ وأن تفيض فى طيرانها ما حولها كما يفيض شعاع الشمس فى سطوعه كل شىء ؛ وأن تنفذ أخيراً إلى نفس الخالق وتمتزج فيها إلى الأبد امتزاج الأنفاس ، ثم تهدأ بعد ثورتها ، وتأنس بعد وحشتها ، وترى الحقيقة بعينها بعد أن ذهلت كثيراً فى دنيا الخيال .

ولو استجاب الله دعاء لامرتين ودعاء أمثاله .

« إذن لاجتازت أرواحنا العوالم فى مسراها
وهى ترق بوثبة واحدة إلى ينبوعها الثرار ،
ولامتدت على جناح الحب فى فضاء لا يتناهى
كأنها شعاع من أشعة النهار ،
ثم امتزجت إلى الأبد فى نفس من براها
بعد أن تصل إليه ولها مستطار ... »

والشعراء مهما استغرقوا فى أخيلتهم لا بد للشك أن يغزو قلوبهم ؛ وما هو إلا أن يصحوا من سكرتهم ، ويصرخوا فى وجه الأقدار مستنكرين ما تكتب أيديها ، ومستفهمين عن ما تبيته لياليها ؛ فهل هى خادعتهم عن أمانيهم وضاحكة من آمالهم أم ستجعل أخيلتهم حقائق ، وأحلامهم واقعات ؟

وكذلك فعل لامرتين ... فإنه لما أحس استغراقه فى خياله عاد إلى الأقدار يسألها : هل الكائنات مولودة للفناء ؟ ثم يسألها بشىء من المرارة : هل ستفنى النفس مع الجسد إذا قضت عليها الشركة أن تقاسمه الموت ؟ وهل سيبلع القبر فى جوفه هذه النفس فى ظلام الليل ؟ وما تصير بعد فنائها ؟ أتستحيل غباراً متناثراً ، أم تطير فوق الأحياء ، ثم تذهب فى الفضاء ؟

وفى هذه الأسئلة حيرة الشاعر وتردده ، وفيها خوفه على مصيره ورهبته من عاقبته وعواقب الناس .

« أيتها الأقدار ! هل خدعتنا أمانينا ؟
وهل الكائنات مولودة للفناء ؟
وهل يبلع القبر آناء ليالينا
نفساً تقاسم جسدها حكمَ القضاء ؟
وهل تصير غباراً أم تطير حوالينا
ثم تتلاشى كصوت ذاهب فى الفضاء ؟ »

وحين يختم لامرتين هذا اللحن الحزين فى هذه القصيدة العصماء يأبى إلا أن يصرح بأن الروح الذى خاطبه وناجاه لم يكن سوى حبيبته (چوليا) فتراه يتغنى باسمها فى البيت الأخير ، مستعلماً منها عما امتنعت الأقدار من إعلامه به ، إذ يسألها بعد أن فاضت أنفاسها وفارقت دنياها : هل بقى على حبها شىء مما أحبت ؟ وهل تشعر بحب هذا القلب على العهد أم تريد على وفائه موثقاً ودليلاً ؟ ثم يسلى لها أنه يهبها حياته ، ويرجو أن تشهد عماله مقابل شىء واحد : هو أن تشعر بحب هذا الذى أخلص فى حبها فيكون شعورها برهاناً على خلودها ويكون خلودها جواباً لسؤال خطير طالما خبأته الأقدار ، وعوذته بالأسرار .

« بعد أن فاض نفسك يوم الوداع الأخير
ألم يبق شىء يحببك من كل ما كنت تحبين ؟
أواه ! لن أسأل سواك هذا السر الخطير ،
فانظرى يا چوليا مرت حبيبك تم أجيبين ! »

وهكذا عاد الشاعر إلى خياله ، واستمسك بآماله ، وختم قصيدته بمعانى الخلود ...

صبحى ابراهيم الصالح

من وحي الربيع :

زهـــرة !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سألتني ذات مرة ... ما ترانى ؟ قلت : زهره
عطرها فى القلب أفرا ... ح ، وفى النفس مسره
ولها لون كلون الـ ... ـخمر ما أعجب سحره !
ولها إشراقة النو ... ر على صدر البحيره
وربيع مستهام ... قد أطال الحب عمره
ليس يمضى عن رباها ... وصباها قيد شبره
أسرته بهواها ... فغدا يمشق أسره !
كلما مرت عليها ... نسمة تعرف سره
حدثتها عن جواه ... ومضت تنشد شعره
وتغنت بهواه ... وأزاحت عنه ستره
فتثنت وهى نشوى ... وأغانى الحب خمره

أنت يا زهرة عندى ... جنة عنراء نضره
أنت للحيران أفق ... عنده يبصر فجره
أنت للظمآن عين ... بالنمير العذب تزره
أنت إلهام وفن ... يعرف الفنان قدره
أنت فى أعماق روحى ... وفؤادى مستقره
فيك أحلام حياتى ... ـ يا حياتى ـ مستسره
فيك شىء لا تراه ... غير روحى وهى حره
فيك سحر لست أنسا ... ه ، وقد أنسيت غيره
فيك ما أجهل سره ... فيك ما أعرف أمره !

يا هوى عمرى ، ويا نو ... ر الهوى الساجى وعطره
يا رجاء بعد يأس ... واهتداء بعد حيره
يا صفاء بعد أن كا ... نت حياتى مكفهره
يا نعيما بعد أحزا ... ن وحرمان وحسره
إن يكن قصّر فنى ... فاعرفى للفن عذره
هل تحوز الكون ذره ... أو تضم البحر قطره ؟
إنما أنت جمال ... يتراءى الفن إثره
نادر فى كل وقت ... ساحر فى كل فتره !
قد تجلى فيه ما لل ... ـه من فن وقدره

من ألحان الوفاء :

أبى . . .

للشيخ محمد رجب البيومى

أبى ، لستُ أهوى فى الحياة سوى أبى
فلا تلحنى إن صُتّ يوماً بمذهبى
مليكٌ على قلبى توطد عرشُه ... يُتوجه حبى بتاجٍ مُذهب
تربيتُ طفلا فى حدائق بره ... وتقلبت من وشيها كل معجب
فذقتُ جناها وانتشيتُ بكرمها ... ولذت بفينان من العيش مخصب
ومازلت فى دور الشباب أزورها ... فأقطف من ريحانها النغض ما ربى
حمانى والدهر الخؤون براثن ... تأوهتُ منها بين ناب ومخلب
وآثر تسليمى ولم يك فانيّ ... فأنفق جُهداً طال منه تعجبى
يظل وراء الرزق يكدح مُتعبا ... لأرفل فى نعماه غير مُتعّب
كأنى منه مستظلٌّ بدوحة ... تمت فأقامت وحدها بين سبسب
أراه فأنسى الهم مبتهجاً به ... كما رأى فى الليل ظلمة كوكب
وما سر قلبى أنّ أفارق ظله ... ولو أن لى مابين شرق ومغرب
إذا مسنى سُقمٌ تبدد بِشره ... فليس يُرى إلا بوجه مقطب
فيدعو أطبائى ويسأل ربه ... ويمكث عندى لا يطيق تجنبى
أقول له هون عليك مطمئنا ... فللداء وقتٌ إن دنا منه يذهب
ويعلم أنى بالقراءة مُولعٌ ... فيملأ بالأسفار والصحف مكتبى
ويقرأ مثلى ثم يصغر نقده ... فإنْ أر للتعقيب باباً أعقب
وأطلب منه الرأى إن عنّ مشكل ... فينطق عن فكر أصيل مُرتب
فإن جاء أشياق تهلل وجهه ... فيلقاهمو منى بأهيل ومرحب
كأن أمينُ الله أقبل نحوه ... من اللأ الأعلى على رأس موكب
فيالبت شعرى هل إذا كنتُ والدا
أكون لأولادى كما كان لى أبى
وهيهاتَ أن أرقى إليه فوالدى ... ملاك ومن لى بالملاك المحجب
بعثت به يارب والليل حالك ... يضل به الساعى فيهدى غيهبى
فعش يا أبى ـ طوال الحياة فإنما ... بقاؤك فى دنياى غاية مطلبى
لكل أب فضل كبير على ابنه ... فمن بر أو سوء من أبيه فكذّب

أنت لحن تخشع الأر ... واح إذ تسمع نغره
زهرة أنت ، ولكن ... يا نسيمى أىُّ زهره !
حسب قلبى منك عطر ... وكفانى منك نظره

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

سلامه موسى أو قصة الكاتب وما كتب :

لم أكن أعلم أن للأستاذ سلامه موسى تلميذاً آخر إلا حين وقع فى يدى العدد الأخير من مجلة « المقتطف » ... فى هذا العدد الذى أصدرته المجلة عن شهر يونيو طالعت مقالا آخر فى الرد علىّ تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » لكاتب لاداعى لذكر إسمه لأن أحداً لايعرفه ؛ لايعرفه على الرغم من أن له كتاباً صدر منذ شهور إسمه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ! ... وأعلم أن هناك سؤالا يتردد فى الأذهان ليأخذ طريقه إلى الشفاه : كيف لايعرفه أحد وله فى أسواق الأدب كتاب ؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الكتاب « القيم » لم تعرفه أسواق الأدب حتى الآن ، وإنما عرفته أسواق تجار الورق حيث يباع « الفن الرفيع » بالرطل !!

إن لهذا الكتاب قصة ... قصة تكمن فصولها وراء هذا الهجوم الذى شنه علىّ صاحبه فى « المقتطف » منذ أيام . ولا بأس من أن أسرد لك فصول القصة بإيجاز ، لتدرك أن الدافع الأصيل لهذا الهجوم لم يكن بسبب موقفى من الأستاذ سلامه موسى ، ولكنه كان بسبب موقفى من الكتاب « القيم » ! وقبل أن أحدثك عن فصول القصة أقسم لك أن هجوم الكاتب « النابه » قد هزنى هزاً عنيفاً ... إن الناقدين يستطيعون أن يهزونا نفس الهزات العنيفة التى نلقاها من المبتدئة ؛ فالمبتدئ يستطيع أن يزلزل كيانك حين تقرأ له زلزلة تعديس وإعجاب . وكذلك الناقد فإنه يستطيع أن يزلزل كيانك أيضاً زلزلة رثاء وسخرية ! ومن هنا هزنى الكاتب « النابه » هزاً عنيفاً خشيت معه على رئتى القوجين إثر الإنفجار ... من الضحك !!

قصة طريفة عافى ذلك شك ، أقصها عليك لتنسى — ولو إلى حين — حر الصيف و « هجوم الضباب » ...

مفتاح القصة أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة ؛ إنه ليس إلا نسخة من كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ... إياك أن تظن أنى من الغفلة بحيث أشترى مثل هذا الكتاب ، ولكن صاحبه هو الذى كان من الغفلة بحيث أهداه يوماً إلىّ لأكتب عنه سطوراً تقدمه إلى القراء ! ويبدو أنى كنت قليل الذوق لأنى تثاقلت حتى اليوم عن الكتابة عنه ، على الرغم من أن الكتاب قد أرسل إلىّ مع رسول خاص يحمل إلىّ رجاء صاحبه أن أخصه بشىء من عطفى ، وعلى الرغم من أن صفحته الأولى قد حملت إلى إهداء ضخما يمكن أن يرتفع بى إلى مكانة سامقة بين كبار النقد الأدبى !!

ومضت الأيام « والرسول الكريم » يلاحقنى ليلاً ونهاراً موفداً من قبل « الأستاذ » المؤلف لأكتب عن الكتاب ولو كلمة صغيرة فى « الرسالة » ؛ ولكننى تماديت فى قلة الذوق إلى الحد الذى دفعنى إلى مصارحة « الرسول الكريم » بأننى أهين قلمى وأهين « الرسالة » وأهين عقول القراء إذا كتبت عن هذا الكتاب ... وذهل « الرسول الكريم » ولم يجد بدا من نقل كلامى إلى « الأستاذ » المؤلف ، ولعله فعل هذا ليريح لسانه من كثرة الرجاء وقدميه من طول السير !!

أنا على إستعداد لأن أنقل إليك عبارات الإهداء الضخمة بالزنكغراف ، وعلى استعداد لأن أذكر لك اسم « الرسول الكريم » وعلى استعداد لأن أقدم لك أسماء من شهدوا فصول القصة من الأدباء ، لتدرك الدوافع الأصيلة لهذا الهجوم الذى « عطر » ثلاث صفحات من « المقتطف » ؛ لقد كنت بالأمس فى رأى الكاتب « النابه » أديباً كبيراً يشار إلىّ بالبنان فأصبحت اليوم فى رأى الكاتب نفسه لاشىء ... وسبحان من جرد الكاتب « الجهير » من ثوب الخلق والتحبير ، ومن أضاع ماء الحياء من وجوه بعض الأحياء !!

أترك هذا كله لأقول للكاتب « النابه » إن القائمة الطويلة التى قدمها إلىّ من كتب الأستاذ سلامه موسى راجياً منى أن أعود إليها حتى أن أغير رأيى فيه ، أقول له إن تلك الكتب بما تحمل فى أحشائها من جرائم الفتك بالقيم والتقاليد والضمائر والأخلاق والعادات ، هى وحدها سبب حملتى عليه — فليرجع هو إليها ليغترف العلم من منابع الإضلال !

أما تلك الفقرات التي نقلها إليّ من كتاب «تربية سلامه موسى» ليستدر بها عطف رجل «خدم الأدب والفكر قرابة أربعين سنة كي يثير ويعلم ويسمو بالشباب إلى مثليات القرن العشرين ويخرجهم من ظلمات القرون الماضية ويكافح هذا الشرق التعفن الذي تتمثل فيه ديدان التقاليد» إلى آخر هذا الكلام المضحك الذي ورد في ذلك الكتاب، أقول إن تلك الفقرات جديرة بالتصديق من زلاء مستشفى المجاذيب !!

ليصدقني قراء «الرسالة» إذا قلت لهم إنكم لم تجدوا تلميذاً لهذا الرجل إلا وهو واحد من هذه التشكيلة العجيبة:

متعلم فاشل، وماجن مستهتر، وفتاة عابثة، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ...

مع أخلص التحية للأستاذ عباس محمود العقاد !!

بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية:

هذه قصة ذات مغزى ودلالة، وقعت حوادثها في أرض الديمقراطية الحق لا أرض الديمقراطية المزيفة ... هناك حيث يتفيأ الناس ظلال الحرية ويستروحون أنسامها الوديعة! ولقد حدثتك في العدد الماضي من «الرسالة» عن أرض الديمقراطية المزيفة، تلك التي يلقى فيها «رالف بانش» ما كان يلقاه العبيد في أحلك عصر من عصور التاريخ ... من حق هذه الأرض أن تهدى إليها هذه القصة، وإن كنا نخص بالإهداء أرضاً أخرى يعرفها المضللون من أصحاب الأفكار المنحرفة والمبادىء الهدامة!

«حنّ» المستر كايمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيا يوماً إلى كليته القديمة فذهب لزيارتها حيث أقيمت له حفلة غداء ... وبدأ الطلبة المحافظون عملهم فكتبوا بحروف كبيرة فوق سيارة رئيس الوزراء (ممنوع الوقوف هنا)، ثم داروا حول السيارة وأطلقوا سراح الهواء المحبوس في العجلات ثم ذهبوا من حيث أتوا. وفي تلك اللحظة حضر سائق سيارة رئيس الوزراء وراعه ما أصاب السيارة فجرها إلى أقرب جراج ولم يخرجها منه إلا في اللحظة التي استعد فيها المستر أتلي لمغادرة كليته القديمة! غير أن الطلبة المحافظين أبوا أن ينتهي نشاطهم عند هذا الحد فأسرعوا إلى الغرفة التي توجد فيها قبعة رئيس الوزراء، ولما وجدوا بابها مغلقاً داروا حولها حتى وجدوا نافذة مفتوحة فتسلقوا بها وانتزعوا القبعة بعصا لأحدهم ثم كتبوا على ورقة بخط جميل (انتخب المحافظين في الانتخابات القادمة)، ثم ثبتوا الورقة ببعض الدبابيس في قبعة المستر كايمنت أتلي ... كل ذلك وقع ولا علم لرئيس الوزراء به، ولكنه ما كاد يستقل سيارته حتى هرع الطلبة المحافظون إلى نافذة في الطابق الأعلى ورشوا عربة الرئيس بالماء!

وتقبل أتلي كل هذه الأعمال بروح طيبة، واعتبرها مداعبة مألوفة من الطلبة!!

ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان الكريم بالإنسان الكريم وما أروعها من أرض تلك التي تنبت الحرية ليجني ثمارها الأحرار ضع أي رجل من رجال «الكرملين» في مكان كايمنت أتلي، وضع بعض الطلبة من الروس في مكان بعض الطلبة من الإنجليز وتصور ماحدث هنا وقد حدث هناك! إن في مجاهل سيبريا متسعاً للجميع ... وهذا هو مفرق الطريق بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية!

إلى المضللين من أصحاب الأفكار المنحرفة في مصر نهدي هذه القصة، ونهدي إلى المثقفين منهم — وما أقلهم — كتابين يصوران هذا الجحيم الشيوعي خير تصوير، وإن كان أحدهما قد نقل عن رأى العين بينما نقل الآخر عن رأى الشعور ... «أثرت الحرية» للكاتب الروسي كرافتشنكو، و«الأيدي القذرة» للكاتب والفيلسوف الفرنسي سارتر!!

بعض الرسائل من صفيح البريد:

هناك أصدقاء مجهولون يكتبون إلي من حين إلى حين ... لماذا يؤثرون أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء؟ إنني أود من الكاتب المجهول (س) الذي بعث إليّ برسالته الكريمة حول قصة «من وراء الأبد» أن يكشف عن شخصيته لأرد على تحيته.

وهذه رسالة أخرى نبيلة الهدف جليلة الغاية من «حلفا — سودان» يقترح على مرسلها الأديب الفاضل الطيب عبد الله جلال الدين أن أطلب إلى الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد أن يكتب الأول كلمة في «الرسالة» عنوانها «أخي الزيات»، وأن

يكتب الثانى كلمة أخرى عنوانها « مصطفى صادق الرافعى » ليتحقق الصفاء فى الأدب عن طريق الصفاء فى النفوس ... أود أن أقول للأديب الفاضل إن الكلمة التى ينتظرها من الدكتور طه عن الأستاذ الزيات ستلقى قريباً عند مايستقبل مجمع فؤاد الأول للغة العربية صاحب « الرسالة » بمناسبة إختياره عضواً فى المجمع؛ أما الكلمة الأخرى فلعل الأستاذ العقاد يكتبها يوماً ما . ومهما يكن من شىء فقد حسم الموت مابين الرجلين من خلاف . أما الرسالة الثالثة فتحمل إلى من « الخرطوم — سودان » تقديراً كريماً أورده اصاحبه شكراً خالصاً وهو الأديب الفاضل أحمد عوض محمد الوطف بالبنك الأهلى المصرى ، وكم أود أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستاذ سلامه موسى ومقالاته ليدرك سر نقمتى على أفكاره المنحرفة ، هذه الأفكار التى تهدم كثيراً من القيم الخلقية والإنسانية !

وحين أنتقل إلى الرسالة الرابعة أشعر أن إخوانى فى الجنوب قد بلغوا الغاية فى الوفاء للخلق والنبل ... إن الأديب الفاضل عبد الله شلبى من « عطبرة — سودان » يقدم الدليل على هذا السمو الخلقى والفكرى فى ثنايا رسالته . أما الجواب عما سألنى عنه حول شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية فيستطيع أن يستخلصه مما كتبته عنه على صفحات « الرسالة » ، لأننى قد تعرضت لهذا الجانب من جوانب شخصيته فى الكلمة التى جعلت عنوانها « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — سودان » إننى قد قضيت مع شعره لحظات تذوق ودراسة ، وسأوافيه برأيى فى رسالة خاصة .

أما الرسالة السادسة فأشكر لرسلها الشاعر الفاضل محمد المديسى نبيل عاطفته وعاطر ثنائه ، وأقول له إن الكلمة التى كتبها صديقى الأستاذ عباس خضر رداً على رسالته إلىّ ... ولهذا يبادر الأستاذ خضر بشكر الشاعر الأديب مثنياً على هذه الروح المثالية . وهذه هى الرسالة الأخيرة من الأديب الفاضل عبد الرحمن أحمد شادى الطالب بالأزهر ، أنها تحمل سؤالا ينتظر الجواب عن رأى لشوبنهور ورد فى كتاب « قصة الفلسفة الحديثة » للأستاذ أحمد أمين بك والدكتور زكى نجيب محمود ... أرجو أن يتسع وقتى للرد على سؤال الأديب الفاضل فى الأيام المقبلة ، لأن التعقيب على آراء الفلاسفة يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والصفاء !

« مقاتل الطالبيين » لأبى الفرج الأصفهانى :

إذا قلت عن هذا الكتاب إنه كتاب قيم فلا أعدو الحق والواقع — حسب القارىء أن يكون مؤلفه هو أبو الفرج صاحب « الأغانى » وحسب أبى الفرج أن يكون « الأغانى » مشيراً إليه ودليلا عليه . أما محققه الأستاذ السيد صقر فشاب يضن بوقته على أن ينفق فيما لافائدة منه ولا خير فيه ، كما يفعل كثير من شباب العلم فى هذه الأيام ... وإنما ينفقه فى البحث والتنقيب والتحقيق ليقدم إلى قراء العربية من حين إلى آخر مايقع عليه من نفائس الآثار الفكرية فى التراث العربى القديم ؛ يقدمها خالصة من الشوائب فى حدود مابين يديه من مصادر تتصل بموضوع تحقيقه من قريب أو من بعيد : أما موضوع الكتاب فتدرك أهميته ونفاسته من عنوانه : مقاتل الطالبيين !

فى هذا الكتاب ترجم أبو الفرج للشهداء من سلالة أبى طالب ، أولئك الذين استشهدوا فى سبيل الرأى والعقيدة على أيدى الخصوم من بنى أمية أو بنى العباس ! ترجم لهم فى الفترة التى تبدأ من عصر الرسول وتنتهى بنهاية القرن الثالث الهجرى ، سواء أكان المترجم له قد لقى حتفه بالسيف فى ساحة الجهاد ، أم لقى حتفه بالسم فى ساحة الغدر ، أم لقى حتفه بالتعذيب فى غيابة السجن ، أم لقى حتفه فى مكمنه الذى لجأ إليه فراراً من البطش والعدوان !

ولقد رجع الأستاذ السيد صقر فى تحقيق هذا الكتاب إلى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية ، كما راجع نصوص الكتاب على الكتب التى نقل منها أبو الفرج أو التى نقلت عنه مثبتاً ما بينها من فروق ... كما حرص على أن يثبت فى أول كل ترجمة كل مايعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأى لون من ألوان الذكر ، وعلى أن يصنع للكتاب فهارس مفصلة للرواة والأعلام ، والجماعات ، والفرق ، والأماكن ، والأيام ، والشعر ، والمصادر ، والتراجم .

كل هذا يطلعك على مدى الجهد الذى بذله الأستاذ المحقق واستحق عليه كل تقدير وكل ثناء ... أما الكتاب نفسه فتحفة نادرة من تحف أبى الفرج يفتقدها قارىء الأدب وقارىء التاريخ !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثمان الكتب في وزارة المعارف :

أوضحت في الأسبوع الماضي موضوع اختيار الكتب للقراءة الأدبية في المدارس الثانوية وما أثير حوله في وزارة المعارف ، كما أبديت ما عنّ لي من الملاحظات في شأنه . وأريد أن أعرض اليوم لمسألة أثمان تلك الكتب ، وغيرها من الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية .

أما كتب المطالعة الأدبية فقد كانت الوزارة تشتريها من السوق الحرة بأثمانها التي تباع بها الجمهور أو بما ينقص قليلا عن هذه الأثمان ، إذ كانت الوزارة تكتب إلى المكتبات ودور النشر ، تطلب مواقاتها بالثمن الأصلي وبمقدار ما هي مستعدة أن تنقصه من أصل الثمن من أجل الوزارة ..

وفي فبراير الماضي قررت الوزارة أن تثمن الكتب بحسب نفقات طبعها وورقها وحبرها وتنليفها وما إلى ذلك ، وتقدر هذه النفقات لجنة خاصة في الوزارة تضم بعض الفنيين في الطباعة والنشر ، وبطبيعة الحال تحصي اللجنة عدد الصفحات والسطور والكلمات والحروف لتقدر ما تكلفته المطبعة في إعدادها . ويضاف إلى هذه النفقات ستون في المائة منها ، للناشر والمؤلف حسبما يتفقان .

وقد كان يقوم بنفسي إزاء الذي كان متبعاً من قبل ، أنه لا يليق بالوزارة أن تطلب من الناشرين وأصحاب الكتب معاملتها معاملة خاصة من حيث إنقاص الثمن بنسبة معينة ، فهذا أشبه بالمساومة التي يترفع عنها كثير من الناس ، ولم تشترى الحكومة بثمن غير الذي يشترى به الناس ؟ وهل هي عندما تشترى السلع الأخرى تطالب بمثل هذا « الخصم » ؟

ولكن ذلك شيء يسير ، يشغلنا عنه الآن هذا القرار الأخير الذي جب ما قبله ، والذي أرى عليه غبنا . ويظهر أن « حرفة الأدب » تدخلت في الموضوع ، فبغت — كدأبها — أن ترزى أهلها : الأدباء ..

وقل لي بربك هل تشترى الحكومة العلف من تبن وشعير وبرسيم لما تملكه من بهائم ، بحسب نفقات الإنتاج ، في غير ما يدخل التسعير العام للجمهور ؟ فما بالها تتخذ هذه الطريقة في غذاء العقول ومنتجات قرائح أصحابها من الطبقة الممتازة في الآدمية ؟

ولم يرتح أصحاب الكتب المقررة إلى تلك الطريقة التي تقرر اتباعها في تثمين كتبهم ، ومن أوجه الضرر التي تلحق بهم أن الوزارة حينما تشترى الكتاب بثمن بخس وتأخذ منه عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو ما بين ذلك ، ترخصه في السوق ، فقد يعود إليها بعد التوزيع على الطلبة بثمن أقل . ويرون أن الأمر غير لائق من الوجهة الأدبية كما هو مجحف من الناحية المادية يقول بعضهم : هل نحن نقدر أفكارنا لتقدر بسعر ما تكتب به من الحبر ؟

وقد حدث أن قدرت اللجنة الجزء الأول من كتاب « الأيام » بسبعة قروش وهو يباع للجمهور بعشرين قرشاً ؛ ولما علم الدكتور طه حسين بك مؤلف الكتاب بهذا التقدير ، رأى الامتناع عن بيعه للوزارة ، فزيد التقدير عدة مرات إلى أن وصل التقدير إلى ثلاثة عشر قرشاً ، حتى رضي الدكتور . وهذا مثل يطلعنا على ما عساه أن يكون لذلك القرار من جرائر وما يسود تنفيذه من اعتبارات . .

ومما يرجه إلى طريقة تثمين الكتب بنفقاتها المادية ، أنها تسوى بين كتاب وكتاب قد يكونان مختلفين في القيمة الأدبية ، وتلك الطريقة لا تكون عادلة إلا في بيع الكتب المتخلفة من الرواج حينما توزن بالأقات والأرطال . .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أن الكتب التي تقرر للمكتبات المدارس تطبق في تثمينها الطريقة الأخيرة ، فما يؤخذ منه أكثر من ثلثمائة نسخة ، أما ما دون ذلك فيشترى بأثمان السوق أو بما ينقص منها قليلا كما تقدم .

أما الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية فلها قصة أخرى : كانت الوزارة تطبع هذه الكتب بالمطبعة الأميرية ، وتوزعها على طلبة المدارس الأميرية . وقد جرت على أن تعطى

المؤلف مكافأة نحو مائة أو مائتين من الجنيهات، وكثيراً ما يكون للكتاب عدة مؤلفين، وقد يكون له عدا المؤلفين مراجعون ولم تكن المكافأة في نظر المؤلفين والمراجعين شيئاً مذكوراً إنما كان ربحهم من طبع الكتب في مطابع أهلية بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالثمن المقدر رسمياً على أساس هذه النفقات، لطلبة المدارس الحرة في مصر، ولبعض وزارات المعارف والمدارس الحرة في الأقطار العربية الشقيقة.

وفي فبراير الماضي قررت وزارة المعارف أن توزع الكتب المدرسية على المدارس الحرة كما توزعها على مدارسها.

ورأت دور النشر في هذا القرار ما يهددها في أرحب مجال اعملها وخاصة في هذا الوقت الذي قل فيه الإقبال على الكتب وتعذر إصدارها إلى الخارج، فشكت إلى الوزارة ما يناالها من جرائه وما يؤدي إليه من تعطيل عمالها، وشاركها في ذلك المؤلفون إذ رأوا أن كل كسبهم من تأليفهم ينحصر في المكافأة الضئيلة المزية التي تمنحها الوزارة لهم، وقد قرر بعضهم الامتناع عن التأليف المدرسي ما دامت هذه الحال.

حكاية الأسبوع

□ تنفيذاً لرغبة ملكية كريمة قرر معالي وزير المعارف إقامة لوحة تذكارية بدار الأوبرا للمرحوم عجيب الرحباني تقديراً لما أداه من جهود نبيلة في خدمة البلاد.

□ أطلق اسم «ابن سينا» و«الرازي» على ممرجين في كلية الطب بباريس. وقد اقترحت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إطلاق اسم «ابن سينا» على أحد ممرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

□ اعتزمت اليونسكو إخراج مؤلف شامل عن ابن سينا يشترك في وضعه نخبة من أعلام المختصين في مختلف الأمم.

□ نشرت مجلة «الأديب» البيروتية لوكيلها في القاهرة «أن العالم الأدبي (ممثلاً في شخصه) استاء من مهاجمة «الرسالة» لسلامة موسى... وقد كتب ذلك قبل نشر كلمتنا «نجح سلامة موسى للغة العالمية» والمنتظر أن يكتب وكيل المجلة إليها اعتذاراً في العدد القادم معبراً عن استياء «العالم الأدبي».

□ وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد على تعيين الأستاذ عبد الوهاب عزمة أستاذاً لكرسي شوقي بالكلية.

□ نقلت وزارة المعارف من البرجون هامرتن ناشر كتاب «تاريخ العالم» الذي تقوم بترجمته إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة — رسالة يثني فيها على توفيق الوزارة في نشر الكتاب ودقة ترجمته. وقد جاءت الأنباء بأن الناشر توفي، وكانت وفاته قبل وصول رسالته إلى وزارة المعارف.

□ اعتاد الدكتور ابراهيم ناجي رئيس رابطة الأدباء، حينما يلقي محاضراته بالرابطة، أن يجلس بين اثنين، يبتسم له كل منها إذا التفت إليها أو يسارها، وتجلس قبالته فتاة أخرى تبدي على أساريرها علامات الإعجاب كأنها تفهم ما يقول. وقد علق أحدهم على ذلك فقال إن الدكتور ناجي يبدو في هذه الهيئة مثل هارون الرشيد بين جواريه.

□ أذيع يوم الجمعة الماضي الحديث الثاني من أحاديث «قصة الأدب المصري الحديث من أول القرن إلى اليوم» المسجلة بالإذاعة للدكتور طه حسين بك، وقد تناول في هذا الحديث إنشاء الجامعة القديمة وأثرها في النهضة العلمية الحرة، كما تحدث عن بعض أساتذة الجيل وأثرهم في تحرير الفكر، وأفاض خاصة فيما كان يكتبه «الشيخ طه حسين» — على حد تعبيره — عن التفلوطي، وعما قاله أنه يشعر بالخجل لما ذكر عنه في الهجوم على التفلوطي وإن كان لهذا الهجوم أثره في التوجيه إلى حرية النقد والتجرد من تقديس شيوخ الأدب في ذلك الحين.

□ تعلم اليونسكو بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية، سرصاً دولياً في أواخر هذا الصيف بباريس، لعرض الأطوار التي اجتازها البصر في سبيل تحريره حتى الآن.

ومما لا شك فيه أن استياء المؤلفين الممتازين من التأليف وقيام غيرهم به ممن يرضى بالقليل يؤدي إلى ضعف التأليف للمدارس وانحطاط مستواه.

وقد تولى وزارة المعارف معالي الأستاذ علي أيوب، وتلك الحال قائمة، وقد تلقى شكايات واستمع إلى وجهات نظر مختلفة. والأمر — في كل ما يتعلق بالكتب مدرسية أو أدبية عامة — بين يدي معاليه قيد البحث والنظر، ولا شك أن روح القاضي التي يعالج بها معاليه أمور وزارة المعارف منذ وليها، يبعث الطمأنينة في نفوس المهتمين بالأمر وذوي الغيرة على الصالح العام.

اليوم خمر:

هي حياة امرئ القيس، وهي تتلخص في هاتين الكلمتين «اليوم» و«خمر» فقد كان يعيش في يومه عيشاً كله خمر، فلم يهبأ بالغد ولم يجد فيما نازعته إليه نفسه أحياناً من أمر، فهو يلهو بالشرب والصيد ومغازلة الحسان، حتى إذا قتل أبوه وبلغه نعيه وهو ما كف على لهوه لم يثنه ذلك عن شرابه ولهوه وأعلن أن «اليوم خمر وغداً أمر» فإذا نال من قتلة أبيه بعض الشيء أعلن ذلك المخطر

واستأنف يومه وغده، وأعرض عن قده ، وأعياه أمره . وتعرض له فكرة الرحلة إلى القسطنطينية للاستعانة بقيصر على استعادة ملك أبيه ، فيحزم أمره على الرحلة عند ما يعلم ما في القسطنطينية من خمر معتقة ومن فيها من حسان فاتنات . وهناك يستبدل حانة ميخابلوس بدارة جلجل ، وأين عذارى الغدير من لا ريسكا وميتورنا وابنة القيصر ؟

تلك هي حياة الأمير الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي كما صورها الأستاذ محمود تيمور بك في مسرحيته الجديدة « اليوم خمر » وقد عنى فيها بتصوير الصراع في نفس امرئ القيس بين حياة اللهو والمرح وبين المجد المؤثل ، ويغوص الأستاذ في طوايا هذه النفس ليستخرج حقيقة معدنها ، فإذا هي نفس جادة إذا هزلت وهازلة إذا جدت !

والمعجزة الكبرى في هذه المسرحية ، هي تطويع الجزالة العربية لأسلوب العصر وصب الفحولة الجاهلية في قالب الرشاقة العصرية ، وقد مزجت بعض العبارات الأصيلة المأثورة بأسلوب المؤلف فلا تميزها إلا بمعرفتك إياها من قبل ، ومع هذا لا يذهب بك بعيداً عن لغة عصرنا هذا برقتها وسهولتها .. وأعتقد أن الأستاذ تيمور بك توخى بذلك أن يستكمل تصوير عصر المسرحية بأسلوب أشبه بلغته ، وقد بلغ بذلك ما أراد مع تجنب الإغراب وترك ما ليس مألوفاً في هذا العصر .

وتعرض المسرحية صورة صادقة للحياة العربية البدوية الأولى — كما نتخيلها — وتبرز شيمها وطبائعها التي تنزع نفوسنا إليها باعتبارها أصلاً من أصولنا ، ولا تزال نتوسمها في مثلنا وحياتنا . وفيها تعبير عن معان وحقائق إنسانية خالدة . وهي تتسم بالجمال ، جمال البيان ، وجمال التنسيق في عرض الحوادث والمناظر ، وجمال الصدق في التعبير عن خلجات النفوس ومفارقات الحياة .

وقد آثرت أن أمسك عما لاحظته في المسرحية مما أظنه مآخذ ، إلى أن نلتقي بها في المسرح ، ولعل الفرقة المصرية تفتتح بها موسمها القادم على مسرح الأوبرا ، وتهيىء لنا بذلك لقاءها هناك .

نجيب الريحاني :

توفي يوم الأربعاء الماضي ، الممثل الكبير الأستاذ نجيب الريحاني ، وقد بعث نعيه الحزن في كافة الطبقات ، فلم يكن فقيد طبقة أو طائفة دون أخرى . إنما هو فقيد أمة ، عاش لها وخدمها بفنه ظل حياته على المسرح بضحك لها ، وأخيراً احترق .

كان رحمه الله فناناً ساخراً ، يسخر من الحياة ومن يعقدون أمورها على أنفسهم وعلى الناس ، وطالما حل مشكلاتها بحكمته الضاحكة ، وطالما بعث المسرة إلى القلوب بفكاهته الرائقة ، وأخيراً أسدل الستار على المأساة إذ فارق الحياة . وقد كان يكشف بحاسته الفنية ما في الحياة من سخف وتفاهة ، ولعله بمفارقتها قد بلغ نهاية الفن — إذ أشرف روحه على مهازل الأحياء فسخر منهم السخرية الكبرى .

ووفت له الجماهير ، إذ احتشدت في تشييع جنازته التي هرع الناس إليها من جميع الطبقات فكانت دموعهم ودموعهم مرثية رائعة مطلعها مندوب جلالة الملك .

كانت صحة الفقيد الكريم قد اعتلت أخيراً ، ولكنه ظل يعمل على المسرح لأنه لم ير للعيش طعماً مع اعتزال الفن والخلود إلى الراحة ، ولكن الراحة الكبرى سلبته الاختيار ، فخلى مكانه في المسرح ، وأسلم الراية مكرها .

كان الريحاني مدرسة في فن التمثيل تهدف إلى الأغراض الإصلاحية ، وتؤدي إلى هذه الأغراض بطريقة فكاهية محببة إلى الخاصة والكافة ، فكان المجتمع يتلقى عليه ويستفيد منه وهو يستمتع بفنه ويطرب لدعابته .

فما أشد فاجعة المسرح في الريحاني ، وما أفدح خسارة الأمة في فنانها العظيم .

عباس خضر

الاستاذ محمود الخفيف
يقدم
أحمد عرابي
ثمنه ٥٠ قرش

١ — هول شاعر :

استشهد أحد الكتاب على تأنيث الضبع بقول الشاعر :

فإن (قومك) لم تأكلهم الضبع

وقد أخطأ في استشهاده ، وفي روايته ، كما أخطأ من قبل في ادعائه التأنيث فقط . فقد جاء في لسان العرب : الضبع السنة الشديدة المهلكة الجدبة ، قال عباس ابن مرداس :

أبا خراشة أما (أنت) ذا نفر فإن (قومي) لم تأكلهم الضبع

ومثله في شرح القاموس وغيره .

وجاء في مادة (خرش) من اللسان وغيره ما نصه :

أبا خراشة أما (كنت) ذا نفر فإن (قومي) لم تأكلهم الضبع

قال ابن بري : البيت لعباس بن مرداس السلمي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، فقال يخاطبه : إن كنت ذا نفر وعدد قليل فإن قومي عدد كثير لم تأكلهم الضبع وهي السنة الجدبة اهـ ومن هذا يظهر لك خطأ الرواية أيضاً .

والعرب يستعملون هذا كثيراً في الشكايات ونحوها ، فقد جاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : إن رجلا أتاه فقال قد أكلتنا الضبع يارسول الله ، يعني السنة الشديدة المجدبة ، وهي في الأصل الحيوان المعروف ، والعرب تكني به عن سنة الجدب اهـ . وفي النهاية أيضاً ومنه حديث عمر « خشيت أن تأكلهم الضبع » .

وفي اللسان : جاء أعرابي إلى رسول الله فقال يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم اهـ .

وفي شرح القاموس: وفي حديث أبي فرقال رجل يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم ، وهو مجاز اهـ . وقوله مجاز أي تجوز في التعبير بالضبع ، فإن المعنى الأصلي الحيوان المفترس المعروف ، والمعنى المجازي هو العام المجدب ، وهو أشد فتكا من الضبع كما ترى في المجاعات ولا سيما في بلاد العرب .

وجاء في خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٨١ ترجمة خفاف ابن ندبة ما نصه : قال حمزة الأصبهاني في أمثاله التي على وزن (افعل) عند قولهم (أفسد من الضبع) إنها إذا وقعت في الذمائث ولم تكتف بما يكتفي به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة فقالوا أكلتنا الضبع . ومما يؤيد هذا أن العرب يقولون أكلهم السنة إذا أهلكهم الجدب والقحط (شرح القاموس — سنة)

٢ — الشاعر وهم :

لثنان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما في الاستعمال :

فقد جاء في لسان العرب : همه الأمر هما وأهمه ، وقال أبو عبيدة في باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه همك ما همك ويقال : همك ما أهمك اهـ

وجاء في القاموس والصحاح : همه الأمر هما كأهمه اهـ

وجاء في المصباح : أهمني الأمر بالألف ومعنى هماً من باب قتل مثله اهـ

وإني أحذر الكتاب من النقود المزينة في « لغة الجرائد » وغيرها وعليهم أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع العربية .

علي حسن شعراني
بالجسم الفنوي

نظرة في بيت :

في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات في كتاب الأغاني » للأستاذ كرد علي عقب على البيت التالي :

فهذا ثنائي لم أقل بجهالة ولكنني بالقاسطين عليم

بقوله : « والصواب (فهذا ثنائي) كما في العقد الفريد ، وليس للثنيات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه » !

قلت : بل للثنيات « هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد الفريد وذلك لسببين :

الأول : أن الشاعر يقرر حالة هي إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح . وأي « ثناء » ذلك الذي يوجه إلى قوم

لا يحفظون الحريم ، ويتقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ، ومن وفاء إلى عداء ؟ !

والثاني أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية النقد الفريد وهي — كما سبق — رواية لا يزكيها واقع الحال ... وإنما يقال في مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان . تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أي بحجة وبرهان ودليل . فالشاعر إنما يقول عن علم وليس عن جهالة وهو بالفاسقين عليم ... وحجته معه !

(الزيتون) عمر ناصر

ثلاثة جاهروا فصدقوا :

نشرت الرسالة الغراء في العدد ٨٢٩ مقالاً قيماً للاستاذ محمد سليم الرشدان تحدث فيه عن ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، في فلسطين ، فأجاد وأبدع في وصف بطولة الشهيد المرحوم عبد الرحيم محمود الشاعر المبدع .

لقد كان بطلاً في حياته وعماته ، وقد كانت الخسارة فادحة ، والرزء عظيم فيه .

وحينما تحدث الأستاذ عن البطلين الآخرين ، لم يصاحبه التوفيق ، لأن الأستاذ الرشدان من السلط من شرق الأردن ، وليس من فلسطين ، ومعرفته بجغرافية فلسطين وأهلها محدودة جداً ، وهذا ما كان سبب عدم الدقة في حديثه عن هذين البطلين .

فأما البطل الثاني السيد أحمد السبع فهو من أسرة السبع المشهورة بتراثها وأملاكها الواسعة في قلقيلية ، فلم يكن في حاجة إلى العمل خارج فلسطين ، ولا ينتظر من شاب مثقف مثله أن يترك أملاكه وثروته ويتشرد جائعاً ، وقلقيلية لم يتطرق إليها خطر مباشر كما حدث في البلدان الفلسطينية الأخرى ...

وأما البطل الثالث وهو الأستاذ عبد الله الريماوي ، فقد نسبت إليه البطولة لأنه أبى أن ينسحب هارباً من قريته بروقين ليلة كارثة اللد والرملة . والذي يعرف مكان قرية بروقين وبعدها عن اللد والرملة يستغرب كيف خطر للاستاذ الرشدان أن ينسب بطولة

شاب مثقف : يريد أن يفر من مسقط رأسه . وهي تبعد مسافة تزيد على عشر ساعات سيراً على الأقدام داخل الجبال التي يعسر على الإنسان السير فيها عن اللد والرملة .

وللاستاذ الرشدان تحياتي .

راتب يحيى الشامي

« الجائزة » أو لماذا أؤمن بالله :

كتاب في ٣١٠ صفحات يدلل على وجود الله في أسلوب سهل شائق كأنك تقرأ في قصة . يتناول كل شبهات الملحدين التي ضلوا بها وأضلوا — فينقضها نقضاً ويدحضها دحضاً .

من الموضوعات التي عالجها لإثبات وجود الله تعالى : تهيئة البيئة الصالحة للحياة ، إمداد الكائن الحي بجميع ممدات الحياة ، للانسان كل ما في الأرض وهو خليفة الله فيها ، دليل الضبط والتقدير الكوني .. الخ .

ومن الشبهات التي دحضها : الصدفة ، الطبيعة ، القوة والمادة ، نظرية النشوء والارتقاء ، وهل هي تؤيد إن صحت . شبهة أعطى فكفر ، ضلالات المتدينين وأخطاؤهم في تعليل الأمور — وما يتطاول به الملحدون علينا بسبب ذلك للآن .

إن الملحدين قد دأبوا على تضليل الناس وتشكيكهم في عقائدهم باسم العلم وكتاب كهذا يكشف الأمر على وجهه ويرد الحق إلى نصابه . ثمنه ٢٥ قرشاً

إعلان

تعلن وزارة الزراعة فقد دفتر القسائم البيضاء من رقم ١٥٢٧٤١ — ١٥٢٨٠٠ من الدفتر رقم ٢٢ بيطري فئة ٦٠ قسيمة وقد اعتبرت الوزارة هذه القسائم ملغاة فلكل من يحاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية .

٢٠٨٨

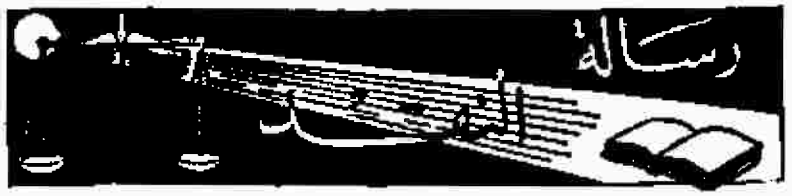

نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٤ —

٢٤ — ص ٣٨ « وقال آخر :

بلوت النبيذيين فى كل بلدة ... فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أعنوك بالتى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يعدونه ... بها تطعموا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه ... وقد أخذوها فالبطون كظاظ
يراغ إذا ما كان يوم كريهة ... وأسد إذا أكل الثريد قظاظ

وعلق الأستاذ على هذه الكلمة بقوله « فى ع : يراعوا »

والصواب « يراغ إذا ما كان يوم كريهة » جاء فى لسان العرب : « اليراع : القصب ، واحدته يراعة . واليراعة ، واليراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب ، أنشد ابن برى لكعب الأشقرى :

ولا تك من أخدان كل يراعة ... هواء كعقب البان جوف مكاسره

٢٥ — يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل وعجله ، قال المأمون لقوم : يا نطف الحمار ، ويا زواع الفؤور ، وأشباه الخؤولة » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى الأصل وزالع الصؤور والذى أثبتناه رواية ع »

والصواب : « ... وزائع الفاؤورة »

٢٦ — ص ٣٨ « وقال مسلم بن قتيبة : إن آل فلان أعلاج أوباش لئام غدر ، شرابون ما نقع . ثم هذا يُعد فى نفسه نطفة خمار فى رحم صناجة »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله « فى الأصل بأنقع ، ولعل الصواب ما اخترناه » وقد أخطأ الأستاذ فى تغيير العبارة من أصلها ، ولم يفطن إلى أن « شرابون بأنقع » تعبير فصيح ، ولم يعرف أنه مثل عربى مشهور . جاء فى لسان العرب : « ومن أمثال العرب : إنه لشرّاب بأنقع ، وورد أيضاً فى حديث الحجاج : إنكم يا أهل العراق شرابون علىّ بأنقع . قال ابن الأثير : يضرب للرجل الذى جرّب الأمور ومارسها ، وقيل للذى يعاود الأمور المكروهة ، أراد أنهم يجترئون عليه ويتتابعون . وقال ابن سيده : هو مثل يضرب للانسان إذا كان معتاداً لفعل الخير والشر » .

وصواب عبارة مسلم بن قتيبة : « .. شرابون بأنقع ، ثم هذا يُعَدُّ فى نفسه نطفة خمار ... » .

٢٧ — ص ٣٩ يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة ، وسقوط المرتبة ، وتلف النفس . فإن الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته ، وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمز الغيبة » .

والصواب : « فتزين له الكأس » لأن الكأس مؤنثة . ومثل ذلك ما جاء فى ص ٤١ « ومن شربة النبيذ الشطار والظلماء والمجان ، فحملهم الكأس على الجنون » والصواب : « تحملهم الكأس على الجنون » .

٢٨ — ص ٣٩ « وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة ابن العبد لندامته ، فبينا هو يوماً معه يشرب أشرفت أخته عليهما فرأى طرفة ظلها فى الجام فقال :

ألا أيها الملك الـ (م) ـذى يبرق شمنطاه
ولولا الملك القاعد قد التمبى فاه »

والصواب : « استخلص طرفة بن العبد لندامه » أى منادمته .

وقد شرح الأستاذ كلمة الشنف بقوله : « الشنف بفتح الشين أعلى القرط » !!!

ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء القرط أسماء خاصة بها فقد سألت صديق الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر عما قاله الأستاذ فقال : « هذا كلام لا معنى له ، وكل ما قاله اللغويون أن الشنف هو القرط الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والرعثة : هو الذى يلبس

في أسفل الأذن واعمل صاحبك قرأ ما جاء في القاموس واللسان والصحاح من قولهم : الشنف القرط الأعلى ، فلم يدرك ما يريدون وصحح لهؤلاء العلماء الأجلاء هذا الخطأ ، فجعل للقرط أعلى وأسفل على ما يتوهم ، وأبى إلا أن يكون الصواب أعلى القرط » .

٢٩ — ص ٤٨ « واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام . فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه الصلب يوم حجة الوداع » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « في النهاية لابن الأثير : في حديث أبي عبيدة : تمر ذخيرة مصلبة أي صلبة ، وتمر المدينة صلب . وقد يقال رطب مصلب بكسر اللام أي يابس شديد » فيكون معنى كلام ابن قتيبة بناء على شرح الأستاذ « فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه التمر » !

ولو رجع الأستاذ إلى صفحة ٢٠ من هذا الكتاب لوجد ابن قتيبة يقول : « وأما النبيذ فاختلفوا في معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا ، فإذا اشتد ذلك وصار فهو خمر » . وجاء في صفحة ٢٢ « حدثني أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الحوابي » وفي ص ٢٩ « ... وبأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب ويقول : يقطع هذا اللحم في بطوننا » .

ويعنيني احترامي للأستاذ محمد كرد علي من أن أعقب على شرحه هذا بحرف واحد ...

٣٠ — ص ٤٨ « وبأن ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدت التحليل وغيرهم ، وبأنه كان يشرب الصلب من النبيذ الجر حتى كثرت الروايات عنه ... »

والصواب : « كان يشرب الصلب من نبيذ الجر ... »

٣١ — ص ٤٨ « ... من عبد الملك بن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بقدح فيه شراب فقربه إلى فيه ثم رده ، فقال بعض جلسائه : أحرام هو يارسول الله ؟ فقال: ردوه فردده ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « في قول عمر رضي الله عنه إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء قال أبو العباس : يقول : إذا جاوزت حدها الذي لايسكر إلى حدها الذي يسكر »

أخطأ الأستاذ في فهم النص السابق وحسب أن عمر بن الخطاب هو الذي قال : إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء . ولست أدري كيف أقحم الأستاذ عمر بن الخطاب هنا وليس في النص مايشير إليه ؟ ولعله توهم أن ابن عمر روى ذلك عن أبيه أو لعله يقصد أن ابن عمر هو الذي قال هذه الكلمة . وسواء علينا أتوهم الأستاذ ذلك أم قصد هذا فانه مخطىء لاعالة وقائل هذه العبارة — حسب تلك الرواية هو النبي صلى الله عليه وسلم « .. فقال بعض جلسائه أحرام هو يارسول الله ؟ فقال ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال : أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء »

وهذا حديث مكذوب على النبي ، وسنده يحمل في أطوائه دليل وضعه « عن عبد الملك ابن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال كنا عند النبي الخ »

جاء في خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٨ « عبد الملك بن نافع أو ابن القعقاع عن ابن عمر. قال أبو حاتم لايكتب حديثه » على أن في الكلام تحريفاً لم يتبينه الأستاذ وهو « القعقاع بن ثور » والصواب : « القعقاع بن شور » بالشين لابالثاء ، قال ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار ١ — ٣٠٦،٣٠٧ « كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل عرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية يوماً آنية فضة ودفع إلى القعقاع حظه منها فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال :

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

فحولك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

راجع القاموس وتاج العروس في مادتي « شور وقعقع »

ولسان الميزان ٤ — ٤٧٤ والبيان والتبيين ٣ — ٢٠٣ ومحاضرات الأدباء ١ — ٣٣٠ وثمار القلوب ص ١٠٠

والتاريخ الكبير للبخاري ٤ — ١٨٨ من القسم الأول، وتهذيب التهذيب ٦ — ٤٣٧

٣٢ — ص ٤٧ « ... عن ابن جرير » عن عطاء أن عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب ؟ فإني أجد في بطني غرزاً ، فأتي بشربة من السقاية فشربها ... »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله « في البغدادية : عن أبي جريج »

والصواب : « عن ابن جريج عن عطاء ... » وابن جريج كما في العارف للمؤلف ص ٢١٤ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٢٥ هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي ، قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج . توفي سنة خمسين ومائة . وكانت وفاة عطاء بن أبي رباح القرشي في سنة ١١٤هـ كما في تهذيب التهذيب أو في سنة ١١٥ كما ذكر ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٦

« بنج »

السيد أحمد صقر

المدرس في الثانوية بمصر الجديدة

تصويب :

وقع في الكلمة المنشورة في العدد الماضي تحريف كثير نذكر بعضه مصوباً فيما يلي :

ص ٩٦١ س ١٣ من العمود الأول « والذي حده عمرو في مصر سراً وأعاد عليه عمر بن الخطاب الحد هو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب ... »

ص ١٠ من العمود الثاني « خيضل الكياس »

ص ٩٦٢ س ٢٥ من العمود الأول « وجبير ابن أيمن »

ص ٢٠ من العمود الثاني « يباعه يبطون ما سألوا »

ص ٩٦٣ س ١ « وهم يقولون »

س ٢ « على هذا لباس شديد »

بعض الكتب التي ظهرت في سنة ١٩٤٩

٤٠ شرح ديوان الشريف الرضي للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد

٨٠ مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني شرح وتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر

٣٠ العقل والدين لوليم جيمس ترجمة الدكتور محمود حب الله دكتور في الفلسفة من جامعة لندن

٥٠ روح التربية } تأليف الدكتور غوستاف لوبون — نقلها إلى العربية

٣٠ حياة الحقائق } الكاتب العربي الكبير الأستاذ عادل زعيتر

تطلب من دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

٢٦ ش . ب . النورية — ٥٠٨٥٦ — س . ت ١١٦٤٠

ظهرت الطبعة الحادية عشرة المزيدة المنقحة الصحيحة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

إلغاء تحصيل رسم حجز المقاعد بالقطارات السريعة

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه قد تقرر اعتباراً من أول يونيه سنة ١٩٤٩ إلغاء تحصيل رسم حجز المقاعد لركاب الدرجتين الأولى والثانية بالقطارات السريعة على أن يكون الركوب بهذه القطارات في مقاعد محجوزة ، دون تحصيل رسم حجز ، بحيث تثبت أرقام المقاعد على ذات تذاكر السفر بالترتيب عند صرفها .

أما من يحملون تذاكر الاشتراك أو التصاريح فيجب أن يدفعوا الرسم الإضافي قبل سفرهم وعندها تثبت أرقام مقاعدهم على ذات تذاكرهم بدون رسم .

مطبعة الرسالة